وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة فرحات عباس، سطيف (الجزائر)

مذكرة

مقدمة بكلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

لنيل شهادة

الماجستير

من طرف

السيد: بوزيد رحمون

الموضوع

الدلالات السياقية للقصص القرآني

– قصة النبي موسى عليه السلام أنموذجا –

بتاريخ.....أمام اللجنة المتكونة من:

د. عيسى بن سديرة	أستاذ محاضر - أ -	جامعة سطيف	رئيســـــــــا
أ.د. النواري سعودي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سطيف	مشرفـــا ومقررا
د. زبيـــــر القلـــــي	أستاذ محاضر - أ -	جامعة سطيف	ممتحنـــــــــا
د. عيسى بوفسيـــــو	أستاذ محاضر - أ -	جامعة المسيلة	ممتحنـــــــــا

السنة الجامعية: 2010 / 2011

مقدمـــــــــــــــــــة:

الدلالة السياقية من أهم المباحث التي اهتم بها العلماء قديما وحديثا، فغاية علوم اللغة جميعا الوصول إلى المعنى، وللوصول إلى هذه الغاية قامت نظريات عدة، أهمها النظرية السياقية الاجتماعية التي تزعمها الإنجليزي فيرث في العصر الحديث متأثرا بمن سبقوه ومنهم الأنثروبولوجي مالينوفسكي، كما كان لفيرث بالغ الأثر فيمن جاء بعده.

فالمعنى – حسب أصحاب هذه النظرية – لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية؛ أي وضعها في سياقات مختلفة، كما يرون بأن معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها. وبهذا يكونون قد نفوا أن يكون الطريق إلى معنى الكلمة هو رؤية المشار إليه، أو وصفه، أو تعريفه، فهم يركزون على أن دراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها، حتى ما كان منها غير لغوي.

وقريبا من هذا فقد قص الله تعالى في القرآن الكريم قصصا للأنبياء والمرسلين وما دار بينهم وبين أقوامهم، وما حدث من وقائع وأحداث في زمانهم، قصها علينا بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز القرآن الكريم، ذلك أن أسلوب القصص القرآني ذا خصائص يمتاز بها عن سائر الأساليب. فله في المعنى واللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء والتعليم، والمتأمل والمتدبر في آيات القرآن الكريم يجد أن الله سبحانه وتعالى كرر ذكر كثير من الأنبياء في أكثر من سورة، وأكثر من موضع .

ولما كان التكرار في القصص القرآني ظاهرة واضحة لافتة للنظر وداعية لكثير من التساؤلات خاصة في قصة نبي الله موسى (عليه السلام) جاء هذا البحث محاولا الوصول إلى أن السياق ليس مرجعية عائمة, فيقال: هذا ما دل عليه سياق الكلام، ولكل مقام مقال، وغيرها من العبارات الفضفاضة، إنما يجب أن يعرف بأن للسياق كيانا لغويا يتمظهر في جملة العلاقات المعجمية، والصوتية، والتركيبية التي تصف النص بالالتحام أو الاتساق، أو التماسك، سواء من حيث بنيته الداخلية أم مع الموقف الذي يقال فيه، هذه العلاقات التي إن تجسدت، تحققت صفة الاتساق بينها وبين النص وهيأت النظام بينها، وهذا ما قادني إلى تساؤل بدا لي مشروعا وهو: هل يمكننا الوصول إلى تحـــديـــد الرابـــط الدلالي بين أجـــزاء قصة نبي الله مـــوسى (عليه السلام) الواردة في جملة من السور القرآنية المختلفة من خلال مقاربة السياق العام لهذه القصة؟

وللإجابة عن هذا السؤال وقع اختياري على موضوع البحث الذي اخترت له عنوانا وسمته بـــ: **الدلالات السياقية للقصص القرآني – قصة النبي موسى عليه السلام أنموذجا-.**

ولكن ما المنهج الذي أتناول من خلاله هذه الدراسة؟ لأن طبيعة الموضوع هي التي تملي المنهج المتبع فقد اهتديت إلى المزاوجة بين المنهج الاستقرائي الذي حصرت من خلاله المواضع التي توزعت عليها القصة في القرآن الكريم، وبين المنهج الوصفي التحليلي الذي اعتمدته في وصف وتحليل المادة التي أصبحت جاهزة للدراسة بين يدي.

وقد تناولت هذا الموضوع في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، أما الفصل الأول فكان نظريا وخصصته للسياق والقصص القرآني، وتناولت فيه تعريف السياق لغة واصطلاحا، وحاولت تحديد أركانه، ثم حاولت تعريف دلالة السياق وأنواعها، وبعدها عرجت على تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي، ثم خصصت مبحثا للقصص القرآني عرفت فيه القصص لغة واصطلاحا، ثم حاولت أن أصل إلى ما يعنيه القصص القرآني للمسلمين، وبعدها أشرت إلى أنواع البنى القصصية في القرآن الكريم، ثم بينت في آخر هذا الفصل دلالة الألفاظ في القصص القرآني. أما الفصل الثاني والثالث من هذا البحث فخصصتهما للدراسة التطبيقية، حيث قمت بتقسيم هذه الدراسة التطبيقية إلى فصلين: الأول منهما تناولت فيه الفترة الأولى، وهي الفترة المصرية أوفترة ما قبل الخروج، أما ثانيهما فتناولت فيه الفترة الإسرائيلية، أوفترة ما بعد الخروج؛ لأن الدلالات تتغير حسب خصوصية كل مرحلة، على أن هذا التقسيم إجرائي، لأن الفصل بين المرحلتين ليس بالأمر السهل، أو الدقيق لكثرة ما في القصة من الالتفات الذي هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار أوالعكس، لأن القصص القرآني حين يخبر عن الأمم الماضية فذلك ليس لمجرد الإخبار، أوالتسلية، إنما يربط ذلك باستخلاص العبرة، ويتوخى إقامة الحجة ضد المكذبين المعرضين عن الدعوة المحمدية، سواء أكان القصص في الفترة المدنية أم في الفترة المكية من القرآن الكريم.

وفي هذا الشق التطبيقي قمت بحصر الآيات المتشابهة في قصة موسى (عليه السلام) في القرآن الكريم، وجعلت منها مقاطع مرقمة لكل سورة أرقامها.

وقدمت لكل سورة بمقدمة أتلمس فيها سياق السورة العام، ثم سياق القصة الخاص، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير.

كما قمت بإيراد آيات المقاطع بكاملها غير مقتصر على موضع الشاهد منها؛ لأهمية ذلك في بيان الدلالات السياقية.

والتزمت بالنظر إلى كل لفظ في محله، لأن اللفظ المناسب لموضع ما لا يمكن أن ينوب عنه غيره.

أما خاتمة البحث فجعلتها خلاصة قدمت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

ولعل من أهم الصعوبات التي تواجه الدارس المبتدئ في مثل هذه البحوث قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت القصص القرآني، بالإضافة إلى صعوبة التعامل مع النص القرآني لخصوصيته وقدسيته.

وككل بحث فقد اعتمدت في بحثي هذا على جملة من المراجع أذكر أهمها: اللغة العربية معناها ومبناها لـــــ: تمام حسان، وكتاب المعنى وظلال المعنى لـــــ: محمد محمد يونس علي وكتاب دور الكلمة في اللغة لـــ: ستيفن أولمان ترجمة كمال بشر،وكذا تفسير التحرير لـــ: الطاهر بن عاشور، وكذا تفسير الكشاف لـــ: الزمخشري وكتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، وكتاب البرهان في علوم القرآن للزركشي، وغيرها من المراجع التي لها صلة بموضوع البحث.

وفي الأخير لا يفوتني أن أنوه بالمساعدات الكبيرة التي قدمها لي الأستاذ المشرف: الأستاذ الدكتور النواري سعودي، وتوجيهاته السديدة التي لم يبخل بها على البحث منذ أن كان فكرة إلى غاية المرحلة الأخيرة من إنجازه.

الفصل الأول

السياق

و القصص القرآني

المبحث الأول: السياق لغة واصطلاحا.

أولا: السياق لغة:

تكاد المعاجم العربية تتفق حول هذه المادة ففي المقاييس"السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حدو الشيء يقال: ساق يسوق سوقا، والسيقة: ما استيق من الدواب، ويقال: سقت إلى امرأتي صداقها، وأسقته. والسوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق. والساق للإنسان وغيره والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي ينساق إليها.[1]

وفي لسان العرب: " السوق معروف. ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وهو سائق وسواق، شدد للمبالغة... وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة.

وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنزا ماتساوق، أي ما تتابع والمساوقة: المتابعة كأن بعضها يسوق بعضا.

وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم أو دنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وغيرهما...والسياق: المهر.

وساق بنفسه سياقا: نزع بها عند الموت. تقول رأيت فلانا يسوق سوقا: أي ينزع نزعا عند الموت" [2].

وأصل السرد تتابع للحديث، أو للأحداث، جاء في أساس البلاغة: "ومن المجاز: هو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك سياق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئتك بالحديث على سوقه أي سرده" [3].

والسياق من التتابع دون انقطاع، ففي الصحاح: " ويقال: ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية...والسياق نزع الروح"[4].

1- أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1392 هـ ، ج3، ص 117.
2 - ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط ت) ، مادة: س و ق .
3 - الزمخشري، أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1404هـ ، ص 314.
4 - الجوهري، الصحاح، تح، شهاب الدين أبو عمر،دار الفكر، بيروت، ط1، 1418هـ ،ج2، ص1138.

وفي القاموس المحيط نجد معنى التتابع وعدم الانقطاع ظاهرا : " "والسياق ككتاب المهر... والمنساق: التابع، والقريب ... وتساوقت الإبل: تتابعت وتقاودت، والغنم: تزاحمت في السير".[1]

وبهذا يتبين أن هذه المادة تدورعلى معنى التتابع، والاتصال، وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ذلك، فسوق الإبل وتساوقها من التتابع، والتتابع اتصال لا انقطاع فيه، وساق الإنسان كذلك، والمهر، وسوق الروح، والسوق، سوق البيع والشراء، كل ذلك يدور على معنى التتابع والاتصال.

ثانيا: السياق اصطلاحا.

يستعمل لفظ (السياق) مقابلا للمصطلح الإنجليزي (Context) الذي يطلق، ويراد به: " المحيط اللغوي الذي تقع فيه الوحدة اللغوية سواء أكانت كلمة أو جملة في إطار من العناصر اللغوية أو غير اللغوية " [2].

ويرى هاليداي (M.Halliday) أن السياق: " هو النص الآخر، أو النص المصاحب للنص الظاهر، وهو بمثابة الجسر الذي يربط التمثيل اللغوي ببيئته الخارجية"[3].

ويفرق ديبوجراند (R. de Beaugrand) بين مصطلحين[4]

1 – (Context) ويتضمن الدلالات الخارجية، و إنتاج النصوص واستقبالها.

2– (co-text) ويتضمن مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات.

وهذا التفريق بين نوعين من السياق هما السياق اللغوي والسياق غير اللغوي هو ما ألبسته نظرية فيرث (firth)، أو النظرية السياقية للدرس اللغوي حين أصبح تناول المعنى يعني تناولا لهذين الجانبين واصطلح عليهما في الإنجليزية على الأشهر بـ:

1– Linguistic Context أو verbal Context ويراد به السياق اللغوي أو سياق النص.

1 - الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ ، ج3، ص166.
2 - ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط1، 1424 هـ ، ص51 .
3 - يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1 ،1410 هـ ، ص29.
4 - روبرت ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر، تمام حسان، القاهرة، ط1، 1418 ، ص91.

2- the nom –linguistic Context أو Context of situation ويراد به سياق الموقف أو السياق غير اللغوي[1].

كما نجد أولمان يتحدث عن المصطلح (Context) بقوله: " وكلمة (Context) قد استعملت حديثا في معان مختلفة، والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي، أي: النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، بأوسع معاني هذه العبارة، إن السياق على هذا التفسير ينبغي أن يشمل لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، والقطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل –بوجه من الوجوه – كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن" [2].

وهناك مصطلح ثالث هو: (Context of culture) أي سياق الثقافة، وهو كذلك السياق الذي تنضوى تحته السياقات الأخرى لغوية أو غير لغوية [3].

ويفرق الأسلوبيون كميا بين نوعين من السياقات الأسلوبية:

أولهما: السياق الصغير (micro Contexte): ويقصد به الجوار المباشر للفظ قبله أو بعده، ويعنى أسلوبيا بدراسة الكيفيات التي تتفاعل بها الكلمات، فيبرز بعضها بعضا، ويؤثر بعضها في بعض.

والآخر: السياق الكبير (macro Contexte) ويقصد به أحيانا ماهو أكبر من الجوار المباشر للفظ كالجملة أو الفقرة أو الخطاب جملة، وقد يتخذ هذا المصطلح أسلوبيا دلالة خاصة تتمثل في جملة المعطيات التي تحضر القارئ، وهو يتلقى النص بموجب مخزونه الثقافي والاجتماعي. [4]

هذا، ويبقى السياق محتاجا إلى كثير من التعريف والدراسة وهو ما سيتناوله البحث في مبحث خاص بمجهود العرب قبل النظرية السياقة الحديثة.

1 - تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1994، ص 337 بتصرف.
2 - ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر، كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة، د ت ، ص 57.
3 - ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق ، ص 53.
4 - عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب تونس، ط2، 1982، ص175.

المبحث الثاني: أركان السياق

الركن الأول: الخطاب.

والخطاب هو النص اللغوي بعد استعماله، وهو وسيلة المتخاطبين في توصيل الغرض الإبلاغي، وهذا الخطاب يرتبط في داخله ترابطا تعلقيا وعضويا، كما يرتبط بالواقع الخارجي من حيث المطابقة وعدمها، كما يرتبط بالمتخاطبين من جهة كيفية إنتاجه وكيفية تلقيه.[1]

وهذا التفاهم الذي يحدثه الخطاب بين المتخاطبين لا يتأتى إلا بالقيمة الحضورية التي تكتسبها كل كلمة عند استعمالها، داخل الخطاب، أو داخل الموقف التخاطبي، وهذا ما يذهب إليه فندريس حين يقول: " تزود كل كلمة لحظة استعمالها تزويدا تاما بقيمة وقتية تبعد جميع القيم الناتجة من الاستعمالات الأخرى التي تصلح لها الكلمة". [2]

الركن الثاني: مصدر الخطاب:

فالمتكلم يشرع في الحديث عندما يكون هناك مثير يحفزه إلى الكلام، كأن ترد إلى ذهنه فكرة، أو يستمع إلى سؤال يدعوه إلى الإجابة، فيلجأ إلى اللغة باعتبارها علامات متواضعا عليها من قبل المجتمع تحقق له رغبته في توصيل كلامه إلى الآخرين، فيختار وحدات معجمية، مراعيا في ذلك القواعد الصرفية، والنحوية التي تسمح بها اللغة، ويضع قولاته وفقا للقوالب المتاحة، لتوصيل فكرته، أوتوضيح مقصده. [3].

قال ابن القيم: " والعارف يقول: ماذا أراد ؟ واللفظي يقول: ماذا قال ؟ كما كان الذين لا يفقهون إذا خرجوا من عند النبي (ص) يقولون: ﴿مَاذَا قَالَ ءَانِفًا﴾ (محمد16)، وقد أنكر الله سبحانه عليهم وعلى أمثالهم بقوله: ﴿فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء 78) ، قدم من لم يفقه كلامه، والفقه أخص من الفهم، وهو فهم مراد المتكلم من كلامه، وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم.

---

1 - محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى،دار المدار الإسلامي، بيروت،لبنان،ط2، 2007،ص159بتصرف.
2 - فندريس، اللغة، تر،عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط ت، ص252.
3 - المعنى وظلال المعنى، ص152.

وقد كان الصحابة يستدلون على إذن الرب تعالى وإباحته بإقراره وعدم إنكاره عليهم زمن الوحي، وهذا الاستدلال على المراد بغير لفظ، بل بما عرف من موجب أسمائه وصفاته، وأنه لا يقر على باطل حتى يبينه.[1].

الركن الثالث: متلقي الخطاب:

يقوم المخاطب (المتلقي) بتفكيك ما ركبه المخاطب (منتج الخطاب) ، فهو يتعامل مع الخطاب بطريقته الخاصة في الفهم، مستعينا بثقافته، وتجاربه، وأحواله، فهو يقوم بتشكيل الخطاب من جديد ... وهذا التشكيل يختلف من متلق إلى آخر، وفق قواعد التأويل، والفهم، والتفسير. [2].

وتتبين مراعاة حال السامع في عدة جوانب:

منها: ما نجده في القرآن من ضرب الأمثال.

وهذا ما قال به صاحب البرهان: " ومن حكمته (أي ضرب المثل) تعليم البيان، وهو من خصائص هذه الشريعة، والمثل أعون شيء على البيان. فإن قلت: لماذا كان المثل عونا على البيان، وحاصله قياس معنى بشيء من عرف ذلك المقيس، فحقه الاستغناء عن شبيهه، ومن لم يعرفه لم يحدث التشبيه عنده معرفة؟

والجواب: أن الحكم والأمثال تصور المعاني تصور الأشخاص، فإن تصور الأشخاص والأعيان أثبت في الأذهان، لاستعانة الذهن فيها بالحواس، بخلاف المعاني المعقولة، فإنها مجردة من الحس، ولذلك دقت، ولا ينتظم مقصود التشبيه والتمثيل إلا بأن يكون المثل المضروب مجربا مسلما لدى السامع "[3].

ومنها ما يكون بالحذف والإضمار اتكالا على فهم السامع.

وهذا ما ذهب إليه الزركشي في قاعدة الضمائر: "الخامس: أن يدل عليه (أي الضمير) السياق، فيضمر ثقة بفهم السامع، كإضمار: الأرض في قوله: ﴿ وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ

1 - ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين،تح، عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ط ت، ج1، ص 181- 182بتصرف.
2 - المعنى وظلال المعنى، ص155بتصرف.
3 - الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل، بيروت، 1408 هـ ، ج1، ص 487- 488 .

ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ ﴾(فاطر45)وقوله: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴾ (الرحمن26) ". [1]

الركن الرابع: المساق.

وهو مجموعة الملابسات والأحوال والظروف التي تتكاثف جميعا في التأثير على دلالة الخطاب، ومن جملتها الإشارات والإيماءات المساعدة التي يستعين بها المتكلم لإيضاح فكرته وإبلاغها إلى السامع، كما تتدخل عوامل أخرى، منها ما يتعلق بشخصيات المتخاطبين وحياتهم الخاصة، وتاريخهم الاجتماعي، والعلاقة بينهم، ومن هذه العلاقات ما هو وليد الموقف بحكم ظروف الزمان والمكان التي يقع فيها الخطاب. [2].

ويدخل في هذا معرفة أسباب النزول ومعرفة أحوال النبي(ص) وأحوال أصحابه، وسيرته، ومعرفة المكي والمدني، وغيرها من أحوال نزول القرآن الكريم، ولقد كان الصحابة يعتنون بهذا لما له من الأثر في فهم المعنى.

وفي هذا المساق نجد قول السعدي: " ومن فوائد معرفة الرسول (ص) معرفة الآيات القرآنية المنزلة عليه، وفهم المعنى المراد منها موقوف على معرفة أحوال الرسول (ص) وسيرته مع قومه وأصحابه، وغيرهم من الناس، فإن الأزمنة والأمكنة والأشخاص، تختلف اختلافا كثيرا، فلو أراد إنسان أن يصرف همه لمعرفة معاني القرآن من دون معرفة منه لذلك، لحصل من الغلط على الله وعلى رسوله (ص) وعلى مراد الله من كلامه شيء كثير، وهذا إنما يعرفه من عرف مافي أكثر التفاسير من الأغلاط التي ينزه عنها كلام الله " [3].

أما ابن تيمية فيوجز الأمر قائلا: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب "[4].

---

1 - الزركشي، ج4 ، ص 27.
2 - المعنى وظلال المعنى، ص160بتصرف.
3 - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مركز صالح بن صالح الثقافي،عنيزة المملكة السعودية، ط1، 1407 هـ ، ج1، ص27 .
4 - مجموع فتاوي ابن تيمية، ج13، ص339.

وفي الإتقان: " قال الواحدي لا يمكن تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، وقال ابن دقيق العيد بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن "[1].

الركن الخامس: ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه.

وهذا الركن تدخل تحته ثلاثة أمور هي أركان يقوم عليها:

الأمر الأول: المفردات:

ومن هذا ما قال به ابن جني في باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني: " اعلم أن هذا موضع شريف لطيف، وقد نبه عليه الخليل، وسيبويه، وتلقته الجماعة بالقبول له والاعتراف بصحته. قال الخليل كأنهم توهموا في صوت الجندب استطالة ومدا، فقالوا: صر، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر. وقال سيبويه في المصادر التي جاءت على الفعلان: إنها تأتي للاضطراب والحركة، نحو النقزان والغليان والغثيان، فقابلوا بتوالي حركات المثال توالي حركات الأفعال ".[2]

الأمر الثاني: هيئة الكلمة .

بمعرفة تصريفها واشتقاقها، حيث إن المعاني تختلف باختلاف ذلك، لأن التصريف هو تغيير يطرأ على الحروف الأصلية للكلمة بزيادة أو نقصان أو إبدال، للوصول إلى المعاني المطلوبة منها.

وهذا ما قال به أبو البقاء العكبري: "وأما فائدة التصريف: فحصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد. والعلم به أهم من معرفة النحو في تعرف اللغة: لأن التصريف نظر في ذات الكلمة، والنحو نظر في عوارض الكلمة ".[3]

1 - جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير،دمشق، ط3،1416هـ ، ج1، ص93.

2- أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح ، محمد بن علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط3، 1407هـ،ج2، ص152.

3 - أبو البقاء بن الحسين العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تح، غازي مختار، دار الفكر المعاصر،بيروت، ط1، 1419 هـ ، ج2 ، ص219 .

الأمر الثالث: النظر في نظم الجملة الواحدة، ثم في نظم الجمل وعلاقاتهـا ببعض.

إن دراسة الجملة قد استنفد ت جهـدا كبيرا من علمـاء النحـو والبلاغـة، وقـد امتزجت الدراسات النحوية بمسائل بلاغية، كما قامت الدراسات البلاغية في كثيـر مـن الحالات على دراسات نحوية بصيرة واعية، لذلك كان من الصعب على مـن يتـصدى لدراسة الجملة دراسة بلاغية أن يفصل بحثه عن الدراسة النحوية، أو يحدد بين اللـونيين تحديدا كاملا وتاما، ولا عبرة بمن يقول: إن المباحث النحوية قد دخلت الدراسة البلاغيـة وأفسدتها، فهـذا كلام فاسد [1].

وللزركشي كلام في هـذا الصدد: " فصل فيما يجب على المفسر البداءة به: الذي يجب على المفسر البداءة العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منهـا تحقيق الألفـاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن لمن يريد أن يدرك معانيه، وهـو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه.

قالوا: وليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هـو نافع في كل علم من علوم الـشرع وغيره، وهـو كما قالوا: إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود من الذهـني والخارجي، فنقول: النظر في التفسير هـو بحسب أفـراد الألفاظ وتراكيبها" [2].

وغير بعيد عن هذه الأركان، يرى هـايمز Hymez أن للسياق دورا مزدوجا إذ يحصر مجال التأويلات ... ويدعم التأويل المقصود. [3]

وهـذا السياق الذي يقوم بهذا الدور المزدوج يـرى هـايمز Hymez أن لـه خصائص يمكن تصنيفهـا إلى: [4]

1-المرسل: وهـو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

2- المتلقي: وهـو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

---

1 - محمد أبو موسى، البلاغة القرآ نية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية ، مكتبة وهبة، القاهرة،ط2، 1408 هـ ، ص324بتصرف يسير.

2 - البرهـان في العلوم القرآن، ج2، ص173 .

3 - محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط1،1991، ص52 .

4 - لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، ص53

3- الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

4- الموضوع: وهو مدار الحديث الكلامي.

5- المقام: وهو زمان ومكان الحدث الكلامي (التواصلي) ، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشارات، والإيماءات وتعبيرات الوجه.

6- القناة: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتابة، إشارة...

7- النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

8- شكل الرسالة: ماهو الشكل المقصود: دردشة، جدال، عظة، خرافة...

9-المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف.

10- الغرض: أي أن ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.

وهذه الخصائص العشر للسياق يذكرنا بعضها بمخطط الاتصال عند جاكبسون، حيث يحتوي على المرسل والمتلقي وهما طرفان في أي مخطط اتصال، كما أن هناك تشابها في القناة والنظام عند هايمز، أو القناة والرموز المشتركة عند جاكبسون.

المبحث الثالث: دلالة السياق وأنواعه .

أولا: دلالة السياق.

إن المهمة الكبرى للسياق هي منع تعدد المعاني، بحيث يشكل العامل الحاسم الذي يحدد معنى اللفظ وهذا ما أشار إليه فندريس قائلا : "إننا حين نقول بأن لإحدى الكلمات أكثر من معنى واحد في وقت واحد نكون ضحايا الانخداع إلى حد ما، إذ لا يطفو في الشعور من المعاني المختلفة التي تدل عليها إحدى الكلمات إلا المعنى الذي يعينه سياق النص، أما المعاني الأخرى فتمحى وتبدد ولا توجد إطلاقا" . [1]

1 - اللغة، فندريس، ص228.

ويمكن تعريف دلالة السياق بأنها: فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده. كما نجد تعريفا لدلالة السياق عند الدكتور يوسف العيساوي يصف فيه دلالة السياق بالقرينة، ويشير في تعريفه إلى أجزاء السياق وهما: السباق واللحاق، كما يشير إلى نوعي السياق المقامي والمقالي، حيث يقول: " قرينة توضح المراد – لا بالوضع – تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود، أو سابقه ".[1]

ثانيا: أنواع السياق.

تتعلق هذه الجزئية بالسياق في القرآن الكريم، فالسياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه قد يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليها، بمعنى أن هناك: سياق الآية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى وهذا تفصيلها: [2]

النوع الأول: سياق الآية.

وفي هذا النوع يكون النظر فيما يكون الغرض في الآية، فإذا كان هناك خلاف في معنى الآية، فإننا ننظر في السياق، كما إذا حصل لفظ مشترك لا يتبين إلا من سياق الآية. مثال ذلك: لفظ الإحصان الذي يطلق على الإسلام، والعفاف، والحرية، والتزويج[3].
ويتحدد أيها المعني بالسياق:

ففي قوله تعالى: ﴿ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾ (النساء 25) المراد بالإحصان هنا التزويج لدلالة السياق.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية ما نصه: والأظهر والله أعلم –: أن المراد بالإحصان هاهنا التزويج، لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى:

1 - يوسف العيساوي، أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهية من السنة النبوية، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1423،1 هـ ، ص 377.
2 - عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ،دار عمار للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 1409 هـ ، ص88 بتصرف.
3 - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1، 1413 هـ ، ج1، ص 279 -280.

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَتِ ٱلْمُؤْمِنَتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَتِ﴾ (النساء 25) ، والله اعلم، والآية الكريمة سياقها في الفتيات المؤمنات، فتعين أن المراد بقوله : ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾أي تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره ا .هـ محل الغرض منه بلفظه " [1] .

وقد اتفق ابن عباس والشنقيطي – رحمهما الله – على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية.

النوع الثاني: سياق النص.

وهو المقطع المتحد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص، فيكون الترجيح بناء على سياق النص.

مثال ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ (البروج 13).

يقول النحاس:" في معناه قولان، قال ابن زيد: يبتدئ خلق الخلق، ثم يعيدهم يوم القيامة، وعن ابن عباس: يبدئ العذاب في الدنيا، ثم يعيده عليهم في الآخرة.

قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى، لأن سياق القصة أنهم أحرقوا في الدنيا، ولهم عذاب جهنم " [2] .

و قد يتعين المحذوف، بناء على سياق النص كذلك.

مثاله: قال المقدسي (أبو شامة) في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا﴾ (هود 82) : " أي :عالي مدائن قوم لوط، ولم يتقدم لها ذكر، ولكن علم ذلك من سياق القصة "

وفي سياق النص يتبين وجه الصواب من أ قوال العلماء، وذلك حين يكون السياق مبينا عدم صحة قول، ومبينا صواب غيره.

---

1 - أضواء البيان، ج1، ص 280.

2 - أبو جعفر احمد بن محمد النحاس، إعراب القرآن، تح، زهير غازي، عالم الكتب،الرياض، ط3، 1409 هـ ، ج5، ص194.

3- عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي، إبراز المعاني من حرز المعاني في القراءات السبع، تح ، إبراهيم عطوة، مكتبة المصطفى الإلكترونية، د ت، ج2، ص 250

مثال ذلك: قول الشنقيطي: " قد قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن من أنواع البيان التي تضمنها أن يقول بعض العلماء في الآية قولا، ويكون في نفس الآية قرينة تدل على عدم صحة ذلك القول .... ومن أمثلته قول بعض أهل العلم: إن أزواجه (ص) لا يدخلن في أهل بيته في قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ (الأحزاب 33) ، فإن قرينة السياق صريحة في دخولهن، لأن الله تعالى قال: ﴿قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ﴾ (الأحزاب28) ، ثم قال في نفس خطابه لهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾" .

ثم قال بعده: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ (الأحزاب 34) " [1]

فقد استند الشنقيطي إلى سياق النص، لأنه كان في أزواج النبي (ص) ، فالسابق للآية فيهن، واللاحق كذلك، فوجب أن يدخلن في الآية.

النوع الثالث: سياق السورة .

لقد نظر العلماء في سياق السور، وبحثوا عن الغرض الرئيس الذي تدور عليه السورة، ومن الأمثلة التي تبين أهمية دراسة سياق السورة:

– فابن القيم بحث وجه مناسبة الأمثال التي ورد ت في سورة التحريم لسياقها، فإن الله أورد فيها شأن امرأة نوح وامرأة لوط فيقول: " في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سيقت في ذكر أزواج النبي (ص) والتحذير من تظاهرهن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله (ص) ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله (ص) ، كما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصالهما بهما " .[2]

– كما بين ابن تيمية وجه المناسبة بين إيراد حقوق النبي (ص) ، وحقوق أهل بيته في سورة الأحزاب، وبين ذكر غزوة الأحزاب في السورة وهي مناسبة خفية إلا إذا عرفنا سياق السورة.

1 - أضواء البيان، ج6، ص 576 -577 .
2 - ابن قيم الجوزية، الأمثال في القرآن، تح ، إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، 1406 هـ ، ص57.

قال ابن تيمية عن سورة الأحزاب: " وهي سورة تضمنت ذكر هذه الغزوة التي نصر الله فيها عبده، وأعز فيها جنده المؤمنين، وهزم الأحزاب الذين تحزبوا عليه وحده بغير قتال، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم، ذكر فيا خصائص رسول الله (ص) وحقوقه وحرمته وحرمة أهل بيته لما كان هو القلب الذي نصره الله فيها بغير قتال". (1)

فقد تبين من سياق السورة وجه المناسبات التي قد تكون غير واضحة.

النوع الرابع : سياق القرآن .

قال صاحب كتاب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: " أما السياق القرآني، فإننا نقصد به أمرين:

1- الأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور عليها جميع معاني القرآن، إلى جانب النظم الإعجازي، والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته .

2- الآيات والمواضع التي تتشابه في موضوعها، مع اختلاف يسير في طريقة سردها وترتيب كلماتها لمناسبة المقام، ولحكمة بلاغية تتصل بأغراض السورة " (2).

ومن أمثلته رفض الزمخشري أن يكون معنى النكاح الوطء، وبين المعنى الصحيح معتمدا على سياق القرآن، وأورد الآية الكريمة: ﴿**ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ**﴾ (النور3).

يقول- رحمه الله -: "قيل المراد بالنكاح الوطء، وليس بقول، لأمرين، أحداهما: أن هذه الكلمة أينما ورد ت في القرآن لم ترد إلا في معنى العقد.

والثاني: فساد المعنى وأداؤه إلى قولك: الزاني لا يزني إلا بزانية والزانية لا يزني بها إلا زان ". (3)

1 - مجموع فتاوى ابن تيمية، ج 28، ص 433.
2 - عبد الوهاب أبو صفية الحارثي، دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم ، ص89.
3 - الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تصحيح، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ ، ج3، ص207.

المبحث الرابع: تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي.

أولا: السياق عند اللغويين.

إن الذي يصفه اللغويون وتكشفه اللغة نفسها أن الألفاظ متناهية والمعاني غير متناهية، الأمر الذي أوجب أن يكون هناك دال على المقصود من متعدد المعنى.

فقد قيل لأبي عمرو بن العلاء: أكانت العرب تطيل؟ فقال: نعم لتبلغ، قيل: أفكانت توجز؟ قال: نعم ليحفظ عنها[1].

و كان اللغويون قد عنوا بمسألة تركيب الألفاظ مع بعضها فتطرق سيبويه بعد أن أشار إلى أقسام الألفاظ من حيث الترادف والاشتراك...إلى قضية الاستقامة والإحالة في الكلام فقال:"فمنه مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب.

فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا.

وأما المحال: فأن تنقض أول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غدا، وسآتيك أمس. وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل، وشربت ماء البحر....

وأما المستقيم القبيح أن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك، و أشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سأشرب ماء البحر أمس [2]"

فالكلام المستقيم إما حسن أو كذب أو قبيح، بعد أن لا يكون المحال ابتداء كما يرى أبو الحسن الأخفش[3] (ت 215هـ).

و إذا كانت الدلالة المعجمية للألفاظ متعددة، فإن اللغويين أشاروا إلى أن ذلك التعدد لا يكون إلا خارج السياق، أما في السياق فإن الدلالة واحدة.

قال الأنباري (ت 328 هـ):" إن كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه إلا باستيفائه، واستكمال جميع حروفه، فجاز وقوع

---

1 - الخصائص، ج1، ص 25 .
2 - سيبويه، الكتاب، تح ، عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط2، 1979م، ج1،ص25 .
3 - الكتاب، قول أبي الحسن الأخفش في الهامش، ج1، ص266.

اللفظة على المعنيين المتضادين، لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر، ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحدا "[1].

وإذا كان الاستعمال يحدد دلالة اللفظ بالسياق الذي يرد فيه، وهو ما يسبق اللفظ وما يلحقه فإن فيه إشارة إلى سياق النص الذي يحدد الدلالة في المتعدد. ويشير ابن عصفور (ت 669هـ) إلى هذا في حديث له حول معاني الحرف (حرف المعنى) بقوله:"وأما الحرف فلا يعطي في حين واحد أكثر من معنى واحد في غيره، فإن دل الحرف على معنيين فصاعدا نحو "من" التي تكون للتبعيض، ولابتداء الغاية، ولاستغراق الجنس، وما أشبهها من الحروف، فإنما يكون ذلك في الأوقات مختلفة، ألا ترى أن الكلام الذي تكون فيه "من" مبعضة لا تكون فيه لابتداء الغاية"[2].

و مع ذلك حوت كتب النحو إشارات لغير قرينة الإعراب من القرائن النصية الأخرى، كما حوت إشارات إلى الترابط في سياق الجملة أو الجمل، ما يعني وعيهم بسياق النص، وإن لم يشيروا إليه بلفظه كمصطلح، ولكنهم اهتموا بالجملة من حيث ترتيبها، وارتباط ألفاظها، وتمامها، فأشاروا إلى الرتبة وأهميتها دلاليا. فقال ابن جني:"ويدلك على تمكن المعنى في أنفسهم، وتقدمه للفظ عندهم تقديمهم لحرف المعنى في أول الكلمة، وذلك لقوة العناية به، فقدموا دليله ليكون ذلك أمارة لتمكنه عندهم: وعلى ذلك تقدمت حروف المضارعة في أول الفعل، إذ كن دلائل على الفاعلين، من هم؟ و ما هم ؟ وكم عددهم ؟ نحو أفعل، ونفعل و فعل ..."[3]

كما كان نظرهم في تمام الجملة منصبا حول ما يضمر أو يظهر من الأفعال أو الأسماء فذكروا(النحاة) في الفعل عن إضماره أو إظهاره ثلاثة أضرب:"ظاهرا لا يحسن إضماره، ومضمر مستعمل إظهاره، ومضمر متروك إظهاره "[4].

1 - أبو بكر الأنباري، الأضداد، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1960م، ص2.
2 - ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تح، صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد،1400 هـ ، ج1، ص89 .
3 - الخصائص، ج1، ص266 .
4 - ابن السراج، الأصول في النحو، تح، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،1405 هـ ج2، ص247 .

قال ابن السراج (ت 316 هـ) :"الأول الذي لا يحسن إضماره، ما ليس عليه دليل من لفظ ولا حال مشاهدة، لو قلت:"زيدا" و أنت تريد :"كلم زيدا"، فأضمرت ولم يتقدم ما يدل على "كلم"، و لم يكن إنسان مستعدا للكلام لم يجز، وكذلك غيره من الأفعال .

والثاني المضمر المستعمل إظهاره: هذا الباب إنما يجوز إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بما يضمره، فمن ذلك ما يجري في الأمر والنهي، وهو يكون الرجل في حال ضرب فتقول :"زيدا، ورأسه"، وما أشبه ذلك تريد:"اضرب رأسه" و تقول في النهي :"الأسد الأسد"، نهيته أن يقرب الأسد "[1].

والمثال الأخير فيما هو متروك إظهاره.

ويلاحظ أن ما ترك إظهاره، وما أضمر إظهاره مستعمل أو الظاهر الذي لا يحسن إضماره إنما تحكمها الحال المشاهدة كما سماها ابن السراج.

وإذا كان هذا في حذف الفعل فإن حذفه أو حذف غيره إنما شرطها أن توجد القرينة الدالة على المحذوف من خارج النص أو الجملة وهي الحال كما يقول ابن جني:"قد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته "[2].

ففي كلام ابن جني دليل و إشارة واضحة إلى سياق النص، أو الموقف، وإن كانت مصطلحات الأوائل غير ما يشيع في عصرنا من مصطلحات.

وهيئة المتكلم واحدة من مكونات سياق الموقف أولاها النحاة عنايتهم، يقول ابن جني حول حذف الصفة ودلالة الحال عليها:"و قد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل وهم يريدون ليل طويل، وكأن هذا إنما حذفت الصفة فيه لما دل من الحال على موضعها، وذلك أن تحس في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملته.

1 - الأصول في علم النحو، ج 2، ص248 .
2 - الخصائص، ج2، ص326 .

وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلا! فتزيد في قوة اللفظ ب (الله) هذه الكلمة، ولتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، وعليها، أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك .

وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنسانا! وتمكن الصوت بإنسان وتفخمه، فتستغني عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك.

وكذلك إذا ذممته ووصفته بالضيق فقلت: سألناه وكان إنسانا ! وتزوي وجهك وتقطبه، فيفي ذلك عن قولك: إنسانا لئيما أو لحزا أو مبخلا أو نحو ذلك "[1].

وقد يكون من حال المتكلم حركة يديه ووجهه وهيئته بكاملها، قال ابن جني حول قول نعيم بن الحارث بن يزيد السعدي:

تقول ــ وصكت وجهها بيمينها ــ *** أبعلي هذا بالرحى المتقاعس

"فلو قال حاكيا عنها: أبعلي هذا بالرحى المتقاعس ــ من غير صك الوجه ــ لأعلمنا بذلك أنها متعجبة منكرة، ولكنه لما حكى الحال فقال: وصكت وجهها، علم بذلك قوة إنكارها، وتعاظم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدت لكنت بها أعرف، ولعظم الحال في نفس تلك المرأة أبين، وقد قيل: ليس المخبر كالمعاين"[2].

ومما مر من إشارات النحاة إلى السياق بنوعيه (سياق النص/سياق الحال) فإنه يؤدي إلى القدرة على تقدير الناقص وتحديد المتعدد ويقوم على حاسة المعنى.

ثانيا: السياق عند البلاغيين.

يرى البلاغيون أن الألفاظ تتناهى، والمعاني لا تتناهى، حيث ذكر الجاحظ: "أن حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ، لأن المعاني مبسوطة إلى غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة "[3].

من هنا لا بد من حصر الدوال اللفظية وغير اللفظية عن تلك المعاني غير المتناهية، حيث ذهب الجاحظ إلى أن أصناف الدلالات غير المعاني من لفظ وغير لفظ

1 - الخصائص، ج1 ص 372 ، 373 .
2 - الخصائص، ج1، ص 246 ،247 .
3 - الجاحظ ، البيان والتبيين، تح ، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، دت، ج1،ص76 .

خمسة: " أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة عن صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغوا وبهرجا، وساقطا مطرحا "[1].

نستشف من هذا أن الحركة دالة، ودلالتها مهمة حين تصاحب اللفظ يقول الجاحظ: " والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ، وما تغني عن الخط "[2].

فهيئة المتكلم – كما سبقت الإشارة – إذا صاحبت اللفظ كانت جزءا منه، وقد تنوب عنه على رأي الجاحظ، وهي عنصر من عناصر سياق الموقف، أما النصبة فهي: " الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد، ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجوامد، كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان، ولذلك قال الأول: سل الأرض فقل من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك، فإن لم تجبك حوارا، أجابتك اعتبارا"[3].

ومما سبق يبدو أن البلاغين يوحدون بين مصطلحي الحال والمقام حيث يستخدمونهما مترادفين، يقول الخطيب القزويني: "مقتضى الحال مختلف، فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التقديم يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف، ومقام القصر يباين مقام خلافه، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي، وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام "[4].

---

1 - البيان والتبيين ج1،ص76 .
2 - البيان والتبيين، ج1،ص78 .
3 - البيان والتبيين، ج1،ص81 .
4 - الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، مكتبة محمد علي صبيح، القاهرة، 1390هـ ، ص 7-8 .

وقد كان البلاغيون والنقاد يحتفلون بالقول المشهور " لكل مقام مقال " الـــذي ورد في بيت للحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

تحنن علي هداك المليك **** فإن لكل مقام مقالا [1].

فقد ذهب بشر بن المعتمر(ت 210 هـــ) – فيما نقله عند الجاحظ – إلـــى أن: " المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، إحراز المنفعة، مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من المقال " [2].

كما نقل الجاحظ عن ابن المقفع قوله: "إذا أعطيت كل مقام حقه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك المقام، وأرضيت من يعرف حقوق الكلام، فلا تهتم لما فاتك مـــن رضـــا الحاسد والعدو...."[3] .

ويبقى مفهوم مقولة " لكل مقام مقال " قارا عند ابن رشيق الذي ذهب إلـــى أن: " أول ما يحتاج إليه الشاعر – بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحدة الكفاية_ حسن التـــأني والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نسب ذل وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، و إن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، و إن استعطف حن ورجع، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائنا من كان ليدخل إليه من بابه، ويداخلـــه فـــي ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر، ومغزاه الذي به تفاوت الناس، وبه تفاضلوا " [4].فابن رشيق يربط المقال بأغراضه التي هي (المقام) حيث قال تلو ذلك مباشرة: " وقد قيـــل: لكل مقام مقال ".

كما فرق عبد القاهر الجرجاني بين نوعين من النظم، "النظم في الكلمـــة المفـــردة وهو النظم الصوتي للفظ، والنظم النحوي للألفاظ، يقول: " وذلك أن نظم الحروف هـــو تواليها في النطق، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رســـما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه، فلو أن واضع اللغة كـــان قـــد قـــال

1 - ديوان الحطيئة ، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، د ت ، ص72 .
2 - البيان والتبيين، ج1،ص136.
3 - البيان والتبيين، ج1،ص116.
4 - ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة، 1383 هـ ، ج1،ص199 .

(ربض) مكان " ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد، وأما نظم الكلام فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق "[1].

في هذا النص إشارة من عبد القاهر إلى أن الحال عند البلاغيين وصف لحال الكلام ومقاماته، وحال المتكلم وحال المستمعين، والفكرة أو الغرض الذي تعبر عنه اللغة، واللغة كما قال ابن جني: " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم "[2].

والكلمات المعجمية (الألفاظ) وهي مفردة ذات دلالة محتملة من جهة وذات ظلال وارتباط معجمي بعضها ببعض من جهة ثانية مما يستدعي النظم الذي قال عنه الخطابي: " لجام الألفاظ، وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان "[3].

فالتطالب المعجمي والتركيبي فيما بين الكلمات يحقق للنص درجة من الاتساق تجعل النص على قدر من الفصاحة والبلاغة فتتحقق مطابقة الكلام لمقتضى الحال كما يقول البلاغيون، والمطابقة تكون بين داخل النص أي التوافق بين أجزائه، وخارج النص الذي هو الحال أو المقام.

وهنا تتضح مهمة السياق كونه حارسا أمينا للمعنى.

ثالثا : السياق عند المفسرين.

احتفى المفسرون بالسياق كثيرا فهذا أبو حيان الأندلسي يركز على علوم اللسان حين يذكر كيفية النطق والمدلولات والأحكام الإفرادية والتركيبية، عندما يعرف التفسير بقوله: " علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات ذلك ....."[4] .

1 - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح ، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2 ، 1401 هـ ، ص 49 .
2 - الخصائص، ج1، ص34 .
3 - الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، بيروت، ط4، دت، ج1،ص36 .
4 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط ، تح، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413 هـ ، ج1 ،ص121.

ويورد الزركشي تعريفا للتفسير حين يقول: " علم يعرف به فهم كتاب الله المنـزل على نبيه محمد (ص)، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه...."[1] .

أما السيوطي فيورد تعريفا يذكر فيه القرائن والمقام مما يخدم موضوع السياق الذي هو موضوع هذا البحث، إذ يقول: " التفسير كشف معاني القرآن، وبيان المراد منه، سواء أكانت معاني لغوية أو شرعية بالوضع أو بقرائن الأحوال ومعونة المقام"[2].

وللمفسرين في البحث عن معاني القرآن الكريم طريقان وهما التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي، أما التفسير بالمأثور فيعتمدون فيه على القرآن ذاته، والسنة، وأقوال الصحابة، يقول ابن كثير: " إن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد بسط في موضع آخر، فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن، وموضحة له ..... فإن لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، لما لهم من الفهم التام، والعلم الصحيح، والعمل، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين"[3].

فهذه الطرق الثلاثة لتفسير القرآن الكريم تعتمد على السياق بنوعيه، فهي تعتمد استقراء النصوص (سياق القرآن) فإنه يفسر بعضه بعضا، أو السنة التي إن لم تكن فعلا أو تقريرا فلا بد أن تكون قولا أي نصا. أما سياق الموقف فيبدو في أقوال الصحابة في التفسير، لأنهم شاهدوا القرائن والأحوال، التي تتمثل في أسباب النزول، فكثير من الآيات ارتبطت بمواقف وأحوال اقتضت نزولها، فكانت معينا على فهم المراد من الآية، قال ابن تيمية: " ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"[4] .

وأمثلة تفسير القرآن بسبب النزول كثيرة نذكر ما أورده السيوطي حول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن

1 - البرهان في علوم القرآن، ج1 ،ص 105.
2 - السيوطي، التحبير في علم التفسير، تح، فتحي عبد القادر فريد ، دار العلوم الرياض، ط1، 1402 هـ ، ص38.
3 - ابن الكثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1388 هـ ، ج1،ص3 .
4 - مجموع الفتاوى، ج13، ص 339 .

يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ .(البقرة158)، حيث قال: " فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض وقد ذهب بعضهم إلى عدم فريضته تمسكا بذلك، وقد ردت عائشة (هذا الفهم) بسبب نزولها، وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما، لأنه من عمل الجاهلية "[1] .

وأما التفسير بالرأي فهو: " تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناحيهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية، ووجوه دلالتها واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي، ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ.... وغير ذلك "[2] .

ويبسط صاحب كتاب التفسير والمفسرون الكلام حول الاختلاف في هذا النوع من التفسير بين مؤيد له وناه عنه كما يقسمه إلى جائز ومذموم وقد اعتمد التفسير بالرأي عدد من المفسرين أمثال الزمخشري في الكشاف والرازي في مفاتيح الغيب، وأبو حيان في البحر المحيط [3].

كما اعتنى المفسرون بالمكي والمدني من القرآن وهم بذلك يهتمون بحال المخاطب أثناء التفسير، ومعرفة مكان وزمان نزول القرآن الكريم نوع من العلوم القرآنية، وقد كان للمفسرين في معرفتهم للمكي والمدني طريقان تحدث عنهما السيوطي في الإتقان[4]:

الأول منهما سماعي، ومعرفته كمعرفة أسباب النزول، والآخر قياسي وهو مبني على دراسة موضوعية لما ضمه المسموع من المكي والمدني، فلما عرف موضوعاهما قيس ما لم يسمع على أسلوب ما سمع بعد تحليله من حيث الصياغة والمضمون.

وتكمن أهمية معرفة المكي من المدني في القرآن الكريم في أن سياق الحال بين مكة والمدينة مختلف، فأهل مكة قبل الفتح كانوا كافرين جاحدين، وأهل المدينة في اغلبهم مؤمنون بالرسالة. فاقتضى حال الرسول (ص) مع أهل مكة تسليته وتثبيته على الدعوة بذكر ما لقيه الأنبياء قبله الذين أرسلوا إلى الأمم السابقة من العنت والمشقة والعناد مع

1 - السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م، ج1،ص109 .
2 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1 ، 1409 هـ ، ج1، ص 246 .
3 - التفسير والمفسرون، ص 246 بتصرف .
4 - الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص 76 .

أقوامهم، ومجادلة المشركين في أمور الوحدانية والبعث، والجنة، والنار ... والإشارة إلى الإعجاز القرآني ...

بينما كان حال أهل المدينة يقتضي تبعا لإيمانهم وتصديقهم قبول أمور التشريع في العبادات والمعاملات.... كما اقتضى الوجود المكاني لأهل المدينة المجاور لفريقين من غير المؤمنين بالرسالة، وهم المنافقون وأهل الكتاب أن يكون فيه (أي المدني) ذكر لمواقفهم وإنكارهم، وتجنيهم على نبوة محمد (ص)[1].

والمفسرون لم يقفوا عند معرفة اللفظ في مستواه المعجمي، ولم يتوقفوا عند الإعراب الذي أجادوه، إنما تجاوزوا ذلك لتحليل النص الكامل للآية على نحو وصل إلى الحديث عن التناسب بين الآيات، أو بين السور ونجد ذلك فيما نقله السيوطي: " يحكى أن أعرابيا سمع قارئا يقرأ ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غفور رحيم﴾ (البقرة 209) و الصحيح ﴿أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

فأنكره، وقال: " إن كان هذا كلام الله فلا يقول كذا، الحكم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه " [2].

فالأعرابي ربط بين أول الآية وآخرها ربطا تجاوز المعنى المعجمي في موضعه إلى العلاقة بين الكلمات معجميا.

ومن أمثلته كذلك ما روي عن النبي (ص) حين بلغت قراء ته (ص): ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ (المؤمنون 14) . قال عبد الله بن أبي سرح: فتبارك الله أحسن الخالقين، فقال (ص): اكتب. هكذا نزلت "[3] .

وفائدة علم المناسبات كما يشر الزركشي: " جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء "[4].

1 - مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7 ، 1400 هـ ، ص 64 بتصرف .
2 - التحبير في علم التفسير، ص 290 .
3 - الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تح، هادي عطية الهلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1407 هـ ، ص 396 .
4 - البرهان في علوم القرآن، ج1، ص 131 .

وهذه الإشارات التناسبية المبنية على مضمون الآية أو السورة إنما تكون بعد تحليل الآيات والسور نصيا وفق اعتبارات لغوية (سياق النص) ووفق اعتبارات خارجية (سياق الموقف)، من أسباب النزول، ومفاهيم الآيات، وعلاقات الخطاب بالمخاطبين.

رابعا: السياق عند الأصوليين.

لما كان الأصوليون من أشد علماء الشريعة حرصا على الوصول إلى الأدلة الشرعية للأحكام الفقهية، فقد اهتموا بالسياق اهتماما بالغا، كونه وسيلة للكشف عن المعنى.

فالشافعي يشير إلى أحد نوعي السياق وهو سياق النص وإن لم يسمه بالمصطلح المعروف في عصرنا حين يقول: " وتبتدئ (أي العرب) الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله "[1] .

أما الغزالي فيعرف أصول الفقه أو ما يعرف بالمتضايفين بقوله: " عبارة عن أدلة هذه الأحكام، وعن معرفة وجوه دلالتها على الأحكام من حيث الجملة لا من حيث التفصيل "[2].

وأصول الفقه عند الكلوذاني هي: " الأدلة والطرق ومراتبها وكيفية الاستدلال بها"[3] .

هذا البحث في الدليل قاد الأصوليين إلى تعريف اللغة، ومن ثم الحديث عن نشأتها، وهو موضوع من أهم ما تطرق إليه الأصوليون، فلا ينفك أصولي من تقرير الخلاف في هذا الموضوع بين أهل التوقيف والاصطلاح في نشأة اللغة[4].

فالأصوليون يعدون علم العربية ذا أهمية بالغة بالنسبة للأصولي، يقول الآمدي (ت631) : " وأما علم العربية فلتوقف دلالات الأدلة اللفظية من الكتاب والسنة وأقوال أهل الحل والعقد من الأمة على معرفة موضوعاتها لغة من جهة الحقيقة والمجاز،

1 - الشافعي، الرسالة، تح ، أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1399 هـ ، ص 52.
2 - الغزالي ، المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1403 هـ ، ج1،ص5 .
3 - الكلوذاني الحنبلي، التمهيد في أصول الفقه، تح، مفيد أبو عميشة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط1406،1هـ،ج1،ص6.
4 - ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام ، قدم له إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400 هـ، ج1، ص30.

والعموم والخصوص، والإطلاق والتقييد، والحذف والإضمار، والمنطوق والمفهوم، والاقتضاء والإشارة، والتنبيه والإيماء، وغيره مما لا يعرف في غير علم العربية"[1].

وقريبا من هذا يذهب الغزالي إلى أن النحو: " يفهم به خطاب العرب، وعادتهم في الاستعمال إلى حد يميز صريح الكلام ومجمله، وحقيقته ومجازه، وعامه وخاصه، ومحكمه ومتشابهه، ومطلقه ومقيده، ونصه وفحواه، ونصه ومفهومه "[2]

كما يبين فخر الدين الرازي وظيفة من أهم وظائف اللغة وهي الوظيفة الاتصالية بقوله: " اعلم أن الإنسان لما خلق بحيث لا يمكنه أن يستقل وحده – بإصلاح جميع ما يحتاج إليه، فلا بد من جمع عظيم ليعين بعضهم بعضا، حتى يتم لكل واحد منهم ما يحتاج إليه، فاحتاج كل واحد إلى أن يعرف صاحبه ما في نفسه من الحاجات " [3].

فالتعريفات والنصوص السابقة تؤكد أن اللغة كانت من القضايا المهمة والمعتبرة عند الأصوليين معرفة وتناولا. كما كان تناولهم للدلالة على نحو من العمق، فنظروا لدلالة الألفاظ باعتبارات مختلفة، المتكلم والسامع، والضيق والاتساع، والحقيقية والمجاز، والوضوح والغموض. وقد لخص طاهر حمودة العلاقات المختلفة للتناول الدلالي عند الأصوليين على النحو التالي [4]:

1 - الإحكام في أصول الأحكام ، ج1، ص9.
2 - المستصفى في علم الأصول، ج2،ص 352 .
3 - فخر الدين الرازي، المحصول في علم الأصول، تح، طه جابر فياض، الرياض، ط1، 1339 هـ ، ج1،ص 261.
4 - طاهر سليمان حمودة، دراسة المعني عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع ، الاسكندرية، د ت، ص 13 وما بعدها .

أقسام الدلالة من حيث المتكلم والسامع

- مايقصده المتكلم — دلالة حقيقية
- ما يفهمه السامع — دلالة إضافية (نسبية)

من حيث كمال المعنى

- مطابقة
- تضمن
- التزام

من حيث الشمول والحصر

- عام
- خاص
  - مطلق
  - مقيد
  - أمر
  - نهي
- مشترك

من حيث الاستعمال (تغير المعني)

- حقيقة
- مجاز

من حيث الوضوح والخفاء

- واضح
  - محكم
  - مفسر
  - نص
  - ظاهر
- غير واضح
  - خفي
  - مشكل
  - مجمل
  - متشابه

طرق الدلالة عند الجمهور

- دال بالعبارة
- دال بالإشارة
- دال بالفحوى
- دال بالاقتضاء

فمن خلال هذا الرسم البياني فإن الأصوليين قسموا الدلالة على اعتبارات كان في أولها اعتبار المتكلم والسامع وهي من صميم النظرية السياقية، كما يبين اعتبار الاستعمال، واعتبار الوضوح والخفاء، وكذا القول باحتمالية الدليل الذي قال به الغزالي[1]. وهو الفهم الأصولي لهذا المحتمل ومعالجة احتماله إبان الاستدلال به في اتجاه الحكم الشرعي.

فمعنى الصيغة عند الأصوليين يتعدد حسب ما استفادوا من السياق فصيغة الأمر (افعل) عدد لها ابن النجار في كتابه شرح الكوكب المنير خمسا وثلاثين معنى أولها في الوجوب وبقيتها لا تدل على الأمر مطلقا وإن كانت الصيغة صيغة الأمر[2].

ومن المعاني التي عددها ابن النجار لصيغة الأمر (افعل) على سبيل التمثيل:

- الوجوب: نحو قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ﴾ (الإسراء 78)
- الندب: نحو قوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُمۡ إِنۡ عَلِمۡتُمۡ فِيهِمۡ خَيۡرٗا﴾ (النور33).
- الإباحة: نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْ﴾ (المائدة 2).
- الإرشاد: نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾ (البقرة282).

فالسياق كان مرجعيه تفسيرية أساسية عند الأصوليين، فقد أفادوا منه في بيان المراد من المحتمل معولين في ذلك على نوعي السياق: سياق النص وسياق الموقف.

1 - المستصفى في علم الأصول، ج1، ص 340 بتصرف.
2 - ابن نجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، تح، محمد الزحيلي ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، 1400هـ ج3، ص 17 وما بعدها .

المبحث الخامس: حول القصص القرآني.

أولا: القصص لغة.

لا يبتعد معنى القص عن التتبع والتقصي، سواء تعلق الأمر بتتبع الأثر المادي، أوبتتابع أحداث القصة أثناء الحكي.

جاء في تاج العروس:" قص عليه الخبر قصصا، أعلمه به وأخبره، ومنه قص الرؤيا. قص أثره: أي تتبعه، وكذلك اقتص أثره، وتقصص أثره، يقال أقصها قصا، وقوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ (الكهف 64) أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر، وقوله تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ (يوسف 3) أي: نبين لك أحسن البيان، وقال بعضهم القص: البيان، والقصص الاسم، والقاص من يأتي بالقصة على وجهها كأنه تتبع معانيها وألفاظها، ومنه قولهم: " القاص ينتظر المقت، والمستمع إليه ينتظر الرحمة "، وكأنه لما يعترض في قصصه من الزيادة والنقصان، وقيل: القاص من يقص القصص لأتباعه خبرا بعد خبر، وسوقه الكلام سوقا " [1].

" والقص: فعل القاص إذا قص القصص ويقال في رأسه قصة: يعني الجملة من الكلام " [2].

" والقصص: رواية الخبر المقصوص والأثر، القصاص: القاص للقصة التي تكتب و – الجملة من الكلام و – الحديث و – الأمر و– الخبر و– الشأن.وحكاية نثرية طويلة تستمد من الخيال والواقع، أو منهما معا، وتبنى على قواعد معينة من الفن الكتابي محدثة "[3].

إذن، فالقصة مفردة، والقصص: جمع وهي المصدر، والقاص: اسم فاعل وهو الذي يقوم بفعل القص والقصاص: صيغه مبالغة، أي كأن القيام بفعل القص هو الإتيان على القصة من جميع جوانبها، والإلمام بكافة أطرافها.

1 - الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، ط1، دت، مادة (ق. ص.ص)، ج3، ص433.
2 - الصحاح، ج3 ، ص257 .
3 - لسان العرب، ج7 ،ص74 .

ثانيا :القصص اصطلاحا .

أما التعريف الاصطلاحي للقصص فتناولته كتب النقاد والمهتمين بشأن القصة بإسهاب، وتفصيل، لتعدد المدارس من جهة، ولخصوصية القصص القرآني من جهة أخرى.

فالدكتور فضل عباس يرى أن: " القصة: هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو قطاع معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عددا من الحوادث بينها ترابط سردي، ويجب أن تكون لها بداية ونهاية. تقسم القصة إلى قسمين هما:

- القصة الواقعية: تتبع المدرسة الواقعية (REALISME) .
- القصة الخيالية: تتبع المدرسة الخيالية أو الشاعرية كما يسميها بعض أنصار هذا الفن، ولكن التعرض للقصص القرآني من حيث هذا التصنيف إلى قصة خيالية وقصة واقعية يعتبر تجاوزا عما في هذا القصص من إعجاز زمني، لأنها جمعت في روعة بين الحقيقة والخيال وبأسلوب لم ولن يكون له مثيل، هذا ما يسمى بالأسلوب الرومانتيكي في قصص القرآن، وهو أنه مع واقعية هذا القصص فإن أسلوبها المعجز أسبغ عليها من روعة التشبيهات ما جعلها فريدة في نوعها من حيث الجمع بين الخيالية والواقعية" [1].

أما الدكتور شوقي ضيف فيقول: "فالقصة سلسلة أو سلاسل من الوقائع، سلاسل تلتقي لتكون عملا قصصيا طويلا، لا يكتفى فيه بجزء من الأجزاء، فهي ليست نبذة، إنما هي كل كبير، إنها نهر زاخر فياض بالحياة واسع الرحاب والآفاق، يتدفق القاص فيه كما يريد من غير انقطاع، حتى يصل إلى نهاية قصته، وتتجلى وحدة الأحداث بينة واضحة، والقصة تسمو كلما تغلغلت في دراسة الإنسان وواقعه، وأكثرت من عرض دخائله ودخائل الحياة، إنها تنقل لنا الحياة بأكملها، بجليلها وتافهها، وحوادثها الصغيرة والكبيرة، لا فرق بين تافه وغير تافه، فكلها تتحول في مخيلة القاص البارع إلى أشياء مهمة مثيرة، وكلمة الأسلوب القصصي لها معنيان: معنى عام يشمل بناء القصة كله لجميع مواده وعناصره، ومعنى خاص يقف عند التعبير، ووسائله اللغوية وخصائصه اللفظية "[2].

---

1 - عباس سناء فضل، إعجاز القرآن الكريم، ط1، دت، ص24.
2 - شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار الفكر،بيروت، ط1، دت، ص 225 .

كما يعرف أحمد الهاشمي صاحب جواهر الأدب القصص قائلا: " القصص: معرفة أحوال السابقين، وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم وبعض مجاوريهم من الأحوال المأثورة، ووقائع أيامهم المشهورة، كقصة الفيل، وحرب البسوس، وحرب الفجار، فالقصة قاموس تقرأ منه أحوال الأمة، اهتماماتها، توجهاتها، عقائدها، حياتها الاجتماعية، ووضعها الاقتصادي والنفسي، إذ أن هذه الجوانب مرتبطة بعضها ببعض ارتباطا وثيقا " [1].

من التعاريف السابقة، فالقصة بأنواعها كل متكامل من الأحداث المليئة بالحركة، القادرة على نقل حياة الأمم السابقة بكل تجلياتها لتكون عبرة للمتأخرين زمنيا عنها، بأسلوب فني يجعل المتلقي يعيش أحداث القصة كأنه أحد شخوصها.

ثالثا: ما الذي يعنيه القصص القرآني للمسلمين ؟

لقد جرت العادة قديما وحديثا على التعامل مع القصص القرآني بوصفه قصص أنبياء، وكثير من المؤلفات تحمل هذا الاسم، وبما أن القرآن يستعمل القص لأهداف الدعوة، وليس من أجل القص في ذاته، فإن قصصه على الرغم من أنها قصص أنبياء فعلا، فإن حكيه لا يخضع لمسار حياة الأنبياء الذين يورد قصصهم، بل يعرض في كل مرة ما يناسب الدعوة المحمدية في مرحلة من المراحل، فالقصص القرآني هو نوع من ضرب المثل، والمثل لا يضرب لذاته ولا من أجل ذاته، بل من أجل البيان، من أجل العبرة، من أجل البرهنة على صحة القضية التي يستشهد فيها بالمثل. فكما يضرب القرآن المثل برجلين أو بجنتين من دون تحديد، وكما يجري حوارا بين أهل الجنة وأصحاب النار، والقيامة لم تقم بعد.... فكذلك الشأن في " قصص الأنبياء " التي يذكرها. إنها للذكر أي للموعظة والعبرة. وهكذا فكما أننا لا نسأل عن صحة القصة التي وراء الأمثال التي تضرب لموقف أو حال ..... لأن المقصود بالمثل ليس أشخاصه بل مغزاه، فكذلك القصص القرآني في نظرنا، والصدق في هذا المجال، سواء تعلق الأمر بالمثل أو بالقصة

1- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر،بيروت، د ت ، ج2 ، ص 22.

لا يلتمس في مطابقة أو عدم مطابقة شخصيات القصة والمثل للواقع التاريخي، بل الصدق فيه مرجعه مخيال المستمع ومعهوده [1].

لقد عد الجابري القصص القرآني نوعا من ضرب المثل، وأرجع الصدق فيه إلى مخيال السامع ومعهوده لا إلى مطابقته للحقيقة التاريخية، ورأى أن المثل صادق بنفسه وإن نطق به حيوان أو غيره، وكذلك القصة عنده وهو ما ذهب إليه محمد حسن فضل الله الذي يرى بأن القصة فن قديم جديد محبب للنفوس، قريب من القلوب، متميز في أداء المطلوب، يترك أثره في السامع حيث يقول: " ..... لهذا السبب وغيره شغلت القصص حيزا من كتاب الله – سبحانه – لأنها شغلت حيزا من حياة الناس كبيرا فكان في ذلك الكتاب – كتاب الحياة والتشريع – تلبية لحاجات أولئك الناس. وإشباع لرغباتهم، وفي ذلك سر من أسرار صلاحية هذا الكتاب للتشريع والحكم في كل الأزمنة والأمكنة، فالإنسان هو ذات المخلوق إن كان لامعا يشار إليه بالبنان، وإن كان متواضعا في قدراته وإمكاناته ... ولو أننا أردنا إقناع شخص أو جماعة بفكرة لكانت القصة هي الطريق الأقصر والأكثر سلامة والأبلغ حجة والأنجح وسيلة، ذلك أن فيها الحوار، والحوار فيه الأخذ والرد، والإيجاب والسلب، ولكن مع ذلك فيه الدليل والحجة، وجاء الإسلام من خلال القرآن الكريم ليكون دين الحوار الذي يتيح للفكر أن يفكر في كل شيء ... وعرف المسلمون كيف ينفتحون على العالم من خلال ذلك، وكيف ينطلقون إليه في رسالتهم في أجواء الحوار التي تحترم الإنسان الذي يختلف معها لتقوده إلى أفكارها من موقع احترام الفكر والكلمة والموقف " [2].

فهو قد نبه إلى أهمية الحوار وماله من قيمة إقناعية كون أن القصص القرآنية إنما أريد منها العظة، والتذكير، لا السرد القصصي في ذاته ولذاته.

1- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم (الجزء الأول في التعريف بالقرآن) ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006 م ، ص 258بتصرف.

2 - محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن . قواعده – أساليبه – معطياته، الدار الإسلامية،بيروت، ط1، دت، ص2- 3 (من مقدمة الكتاب).

كما يرى محمد عزة دروزة صاحب كتاب " القرآن والملحدون " أن ما ورد في القرآن من قصص وأخبار الأمم السابقة وأحداثها وأنبيائها وما وقع على الأمم الجاحدة من عذاب الله ونكاله اتصف بخصائص:[1].

_ أولا: لم يكن غريبا إجمالا سماعا أو مشاهدة آثار، أو اقتباسا وتناقلا، وسواء منه ما هو موجود في أسفار وكتب أهل الكتاب وغيرهم المتداولة متماثلا أو زائدا أو ناقصا أو مباينا لما جاء في القرآن، أم ليس موجود فيها مما يتصل بالأمم والأنبياء الذين وردت أسماؤهم فيها مثل قصص إبراهيم المتعددة مع قومه، وتسخير الجن والريح لسليمان، وقارون، والعبد الصالح مع موسى، ومائدة المسيح، أو مما يتصل بغيرهم من الأمم والبلاد العربية وأنبيائها مما يرد أسماؤهم فيها مثل قصص عاد وثمود وسبأ وتبع وشعيب ولقمان وذي القرنين. ولها أمثال في القرآن نورد على سبيل التمثيل: قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (التوبة 70) .

– ثانيا: أنها لم ترد للقصة ذاتها، وإنما وردت للعظة والتمثيل والتذكير والإلزام، والتنديد والوعيد والتسلية والتطمين. ومن أمثلتها في القرآن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝﴾ (التغابن56).

– ثالثا: أنها وردت بأساليب متنوعة تتحمل وجوها للتأويل ويكون عقل الإنسان عاجزا عن تأويلها، ويكون من واجب المسلم المخلص أن يكتفي بالقول (آمنا به كل من عند ربنا) ومن الأمثلة على ذلك قصة خلق آدم، فقد ذكرت آية البقرة (30) أن الله سبحانه أراد من خلقه أن يجعله خليفة في الأرض، ومع ذلك فإنه أسكنه الجنة هو وزوجته

1- محمد عزة دروزة، القرآن والملحدون، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط2، 1980، ص152 وما بعدها بتصرف .

ولم يخرجهما منها إلى الأرض إلا عقوبة على أكلهما من الشجرة الممنوعة كما جاء في آيات البقرة (35- 37) والأعراف (11-27) وغيرها.

رابعا: أنواع البنى القصصية في القرآن الكريم.

يمكن التميز بين شكلين للبنية القصصية في الخطاب القرآني:

الشكل الأول: القصة المغلقة.

القصة المغلقة أو المكتملة يقول الدكتور سليمان عشراتي صاحب كتاب الخطاب القرآني : <<القصة المغلقة أو المكتملة: ونقصد بها القصة التي استقل بها موطن قرآني واحد، في سورة قرآنية فريدة، ولم يتكرر سياقها السردي خارج ذلك الموطن، وقد وردت على هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف، وقصة أصحاب الكهف، وقصة سليمان والملكة بلقيس، وغيرها من القصص التي أخذت إطارا مثليا كقصة صاحب الجنتين ...وقد ترد القصة المغلقة ضمن تداع قصصي، تسوقه السورة، من أجل إنجاز فاعلية تبليغية، تستمد من إيحاءاتها طاقة تأثيرية، من ذلك ما ورد في سورة الكهف من قصص مغلقة، تمثلها قصة أصحاب الكهف (من الآية9-25) وقصة صاحب الجنتين (من الآية 32-44) وقصة ذي القرنين (من الآية 83-98)، فهذه القصص المتلاحقة جميعا قصص مكتملة، مغلقة، لم نلف لها حضورا استدعائيا في سياق قرآني آخر، باستثناء قصة موسى والعبد الصالح، التي هي قصة مفتوحة لأنها تفيدنا بجانب آخر من جوانب سيرة موسى ووقائع حياته >> .[1]

الشكل الثاني: القصة المفتوحة.

يقول الدكتور سليمان عشراتي:<<ونقصد بها ذلك السياق السردي المتعلق بسيرة نبي أو رسول، والمتواتر في أكثر من سورة، وبتنويعات إخبارية وسردية تتجدد كثيرا أو قليلا من سياق لآخر، سواء على مستوى الشكل الخطابي أو من حيث الإفادات التي يحملها>>.[2]

1 - سليمان عشراتي، الخطاب القرآني(مقاربة توصيفيه لجمالية السر الإعجازي)، ديوان المطوعات الجامعية الجزائر، ط 1998، ص69-70بتصرف.
2 - الخطاب القرآني، ص70.

فالشكل الأول لبنية القصة القرآنية يمثل تلك القصص التي ترد في موقع قرآني واحد لضرب مثل أو تحقيق عظة، أما الشكل الثاني فيمثل تلك القصة التي ترد في مواطن متعددة يستدعيها السياق في كل مرة، والهدف من الشكلين القصصيين واحد، يقول الدكتور محمد عابد الجاري :<<إن القرآن كما أنه ليس كتاب قصص بالمعنى الأدبي الفني المعاصر، فهو أيضا ليس كتاب تاريخ بالمعنى العلمي المعاصر للتاريخ. إنه مرة أخرى كتاب دعوة دينية ...إن الحقيقة التي يطرحها القصص القرآني هي العبرة، هي الدرس الذي يجب استخلاصه>> [1] .

وبالعودة إلى الشكل الثاني للبنية القصصية في الخطاب القرآني نجد الدكتور سليمان عشراتي قد وضع خطاطة لبنية القصة المفتوحة ومثل بقصة موسى التي هي موضوع هذا البحث يقول:<< فسورة الأعراف مثلا، عندما تتطرق إلى قصة موسى، فإنها تصوغها في بنية شكلية احتلت مساحة تجتاز السياق مابين الآية 105 والآية 159، ويمكن أن نشير إلى وقائعها السردية في الآتي:

- موقف موسى حيال فرعون: دعوته إيّاه إلى توحيد الله ومطالبة فرعون بالحجة.
- ظهور موسى على السحرة، وانتقام فرعون من المؤمنين .
- النقمة الإلهية من الكفرة، ومعاقبتهم بالجوائح، ثم بالتغريق .
- تذبذب إيمان بني إسرائيل .
- غياب موسى عن قومه للقاء ربه وارتداد بني إسرائيل.
- تكليم الله لموسى ومده إياه بالألواح المكتوبة.
- عودة موسى إلى قومه، وتعنيفه أخاه على ما وجد عليه القوم من ردّة.
- فرز موسى للمؤمنين من قومه، ملاقاة الله للاستغفار والتوبة.
- المن الإلهي على موسى وقومه المؤمنين بالغيث وبالخيرات>>.[2]

1 - مدخل إلى القرآن الكريم، ص259.
2 - الخطاب القرآني، ص73-74.

فالمسار القصصي قد عرض واقعة موسى وفرعون، ومآل فرعون، ثم واقعة موسى بعد النجاة، وردة قومه بعد إيمانهم، والمن والنعيم على المؤمنين.

كما مثل الدكتور سليمان عشراتي للقصة المفتوحة بقصة موسى لما أسماه:

<< الحدث التراكمي في القصة المفتوحة >> بثلاث سور قرآنية هي البقرة،ويونس،وطه حيث قال:<<فالفضاءات القصصية التي سردتها هذه السور الثلاثة عن حياة موسى، جاءت متفاوتة من حيث مستوى الحدثية إذ انحصر الحيز السردي في السورة الأولى، حول وقائع أعقبت النجاة من فرعون، وجاءت حدثية الحيز السردي في السورة الثانية توجز وقائع البعثة حتى واقعة النجاة، فالتفاوت بين المسرد الأول في سورة البقرة والمسرد الثاني في سورة يونس: يتمثل في سكوت الأول عن وقائع امتدت من البعثة إلى حين خروج النبي موسى مع قومه من أرض فرعون، أما حدثية الحيز السردي الثالث في سورة طه، فإنها الأوفى والأكثر امتدادا، فهي تغطي سيرة الفعل من مولده إلى زمن ارتداد قومه، فقد استوفت أطوارا من حياة موسى قبل البعثة (المولد، والتنشئة) وبعد البعثة (استغفاره لقومه، وتعنيفه لأخيه هارون بعد رجوعه من لقاء ربه>>.[1]

فالقصة المفتوحة تظل حدثيتها مفتوحة على ما ترفدها به السياقات السردية المتعلقة بموضوعها في السور التي يستدعي فيها الخطاب القرآني الموضوع السردي الخاص بتلك الحدثية.

خامسا: دلالة الألفاظ في القصص القرآني.

1-الدلالة السياقية:

تعد السياقات حصيلة للنصوص التي تكتب أو تقال، ويتم تكوينها وتحويلها وتعديلها دائما بالنصوص المستخدمة في موقف دون آخر، ومن هنا نجد أن النص والسياق يتكاملان فيما بينهما، فوحدات النص القصصي الجملية وغير الجملية مثلا ينبغي أن ترتبط في سياقها، ويتعين في النص أن يتم شكله ومحتواه إجمالا بالتماسك والوثاقة لتبرز

1- الخطاب القرآني، ص91.

قبعة السياق في تحديد دلالة الألفاظ المتأثرة بالمقام والمقال ليتحدد ما هو مقصود ضمنا بالألفاظ[1].

فالألفاظ من خلال هذا النص تملك دلالة صريحة وأخرى ضمنيه تتحدد بالسياق الذي ترد فيه، بل إن اللفظة الواحدة وفي السياق الواحد قد تفهم على أكثر من وجه، فلفظة (رؤيا) وردت في سياق واحد في القرآن الكريم فيما رأى ملك مصر بجلاء ووضوح، ورآه ملؤه (أضغاث أحلام): لأنها بدت لهم كذلك، ولأنهم لم يدركوا دلالة رموزها، في حين نجد الرسول حينما جاء إلى يوسف وطلب منه أن يفتيه في رؤيا الملك لم يستعمل لفظ رؤيا أو حلم أو أحلام و إنما قال: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف 46).

فذكر رموز الرؤيا مباشرة، لأنه يعلم أن يوسف – عليه السلام – يعبرها تعبير عين اليقين فكأنها واقع محسوس مشاهد [2].

والأمثلة على هذا النوع من دلالة الألفاظ في القرآن الكريم كثيرة، لأن الدلالة السياقية في القصص القرآني تتعلق بمعاني الألفاظ حين ترد في سياقات يكون معنى اللفظ فيها جزء من كل، لأن المعنى الإجمالي للسياق يتحدد بالأوامر التي تنعقد بين الألفاظ مؤلفة سياقا متكاملا لا يستغني فيه لفظ عن لفظ ولا معنى عن معنى [3].

2- الدلالة الاقترانية .

يقول الدكتور عماد عبد يحي : " .... الدلالة الاقترانية تبعد الألفاظ عن المعاني العائمة غير الدقيقة وتكشف عن أبعاد الشخصيات في القصة، وفي وصف الأحداث وبيان طبائعها " [4].

1- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1،1978، ص228.

2- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والنجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، دار العودة بيروت، 1981 م، ص378 .

3 - عماد عبد يحي، البني والدلالات في لغة القصص القرآني، دار دجلة الأردن، ط1، 2009، ص 230 .

4 - البني والدلالات في لغة القصص القرآني، ص255 .

والأمثلة على الدلالة الاقترانية في القرآن الكريم كثيرة نمثل لهـا بـاقتران لفـظ "سلطان " بلفظ " مبين " في مواضع كثيرة نورد بعضها:

_ ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ﴾ (هود 96).

_ ﴿ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴾ (المؤمنون 45).

_ ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾ (غافر 23).

_ ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ (الذاريات 38).

" فجملة (أرسلنا) ترمز للرسالة التي جاء بها موسى نعني: آيات التوراة وما فيها من أحكام، وعضدت تلك الآيات بالسلطان المبين الذي هو المعجزات الحسية التـي تعـد حجة قاهرة لا يمكن للحس أن يكذبها كالعصا واليد. والسلطان اسم لما يفيد القطع واليقين، وهو اسم للقدر المشترك بين الدلائل التي تؤكد بالحس، وبين الدلائل التي لا تتأكد بالحس والدليل القاطع الذي تأكد بالحس هو السلطان المبين، ولما كانت معجزات موسى (عليـه السلام) على هذا التدرج فلا جرم أن وصفها بأنها سلطان مبين."[1]

3- الدلالة الإيحائية.

الألفاظ هي مذاق الكلام، لما تحمله من قيم إيقاعية تناسب في الأسـماع، فتتـصل بالقلوب والنفوس فتلونها بألوانها، فيغدو اللفظ بجرسه موحيا بالمعنى، قال ابن جنـي: إن كثيرا من هذه اللغة وجدته مضاهيا بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبر بها عنها.

ودلالة الجرس على المعنى خفية موحية تحس بمقدار شدة التأثر بالباعث الصوتي وفي ذلك قال أولمان: " وقد تؤدي شدة التأثر بالباعث الصوتي على توليـد الكلمـات أو الأصوات إلى ما يكاد يكون اعتقادا غامضا في وجـود مطابقـة خفيـة بـين الـصوت والمعنى[2].

فالألفاظ فضلا عن دلالتها على المعاني الذهنية لها دلالات إيحائيـة تتمثـل فـي الصور والظلال المصاحبة لها، مما يشكله جرس الألفاظ وما اكتنز فيها من معان كونتها

1 - الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار الكتب العالمية طهران، ط2، دت، ج18 ص53.
2 - دور الكلمة في اللغة، ص81 .

تجارب البشرية والمشاعر والملابسات التي صاحبتها منذ أول الاستعمال، فتكونت لها دلالات إيحائية يرسمها الجرس تارة وظلال اللفظ تارة، والاثنان معا تارة ثالثة [1].

ومن المعتاد أن تأخذ الألفاظ هذه الدلالة في سياق الكلام وأمكنتها فيه، ومن مجاورتها لكلمة معينة أخرى ذات جرس معين، فتتلون الدلالات وتتنوع لتشير إلى فكرة أو تومئ إلى معنى، أو ترمز إلى صورة نفسية، أو عقلية، أو فنية، فيغدو اللفظ في سلك الأسلوب ذا نمط جديد من الألوان والظلال بخلافه بعيدا عن النظم [2].

ومن الألفاظ الموحية بالحركة الحسية ما ورد في قوله تعالى في قصة موسى التي هي موضوع هذا البحث: ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ (القصص18).

ذكر احد الدارسين أن لفظة ﴿ يَتَرَقَّبُ﴾ ترسم هيئة الحذر المتلفت الخائف الذي يترقب في المدينة موضع الأمن والاطمئنان مما يؤكده السياق كله[3].

وتقديم كلمة ﴿خَآئِفًا﴾ على كلمة ﴿ يَتَرَقَّبُ﴾ يوحي بمدى الفزع الذي استولى على موسى عليه السلام[4] .

فضلا عن إيحاء لفظة ﴿ يَتَرَقَّبُ﴾ بسمته الشخصية الانفعالية المجسمة بهيئة الخائف القلق، واللفظان معا يوحيان بأن موسى في ذلك الوقت قد غادر القصر الفرعوني، ولم يعد من رجاله، ولو كان قد بقي على هذه الحالة، فما أرخص أن يزهق أحد رجال القصر نفسا في عهود الظلم والطغيان وما كان ليخشى شيئا فضلا عن أن يصبح ﴿خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ لو أنه ما يزال في مكانه من قلب فرعون وقصره. [5]

1 - التصوير الفني في القرآن، ص76.
2 - فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف الإسكندرية، 1976، ص6 .
3 - محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، الإسكندرية، ط1981،1، ص81 .
4 - الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية ، ص81 .
4 - التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع تونس، 1974 ، ص 369 .

الفصل الثاني:

الفترة المصرية
(قبل الخروج)

إن الناظر إلى القصص القرآني في القرآن الكريم – بالخصوص قصة النبي موسى (عليه السلام) – يلحظ ظاهرة التكرار الذي هو في الحقيقة ليس تكرارا في المضمون و إنما في الصيغة، فالمضمون واحد ولكنه يصاغ في كل مرة حسب مبدأ " لكل مقام مقال " و هذا يصدق على جميع ما في القرآن من تكرار ظاهري، ولكنه في الحقيقة ذكر لما يستجد من عناصر القصة وفي أي سياق ترد.

سورة الأعراف

قال الجابري: " سورة الأعراف من السور الطوال، بل هي أطول سورة نزلت بمكة، وهي بمفردها تعدل ضعفي ما نزل قبلها منذ ابتداء الوحي، كما تعدل كتابا من كتب أهل الكتاب أو أكثر ... ورتبتها 39. [1]

فالناظر إلى السياق العام لهذه السورة يجد أنه يشير إلى وجوب التمسك بهذا القرآن، ورفع أي حرج من النفس في الدعوة إليه، وأنه كتاب أتى بالبيان التام وأقام الحجة على العباد، وأن من استنكف عنه فإنه تعرض للوعيد والعذاب، ثم اختتمت السورة بالرفع من شأن هذا القرآن و وجوب الاستماع إليه والإنصات له، وكان بين أولها و آخرها ذكر قصة آدم وقصص الأنبياء من بعده على ما يناسب هذا السياق، فكان أول قصة موسى مع فرعون وملئه، وأما الشق الثاني من القصة فكان مع بني إسرائيل، وكان يسجل تأريخهم كما قد سجله في الشق الأول قبل الخروج من مصر. [2]

قال البقاعي: " فالمقصود من قصة موسى (عليه السلام) وفرعون –عليه اللعنة والملام– هذا الاستدلال الوجودي على قوله ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ (الأعراف 102) ومن هنا تعلم أن سياق قصة بني إسرائيل بعد الخلاص من عدوهم لبيان إسراعهم في الكفر ونقضهم العهود، واستمر سبحانه في هذا الاستدلال إلى آخر السورة ". [3] .

هذا ما تبين من سياق السورة، وقد تقدمت دراسة آيات منها مع البقرة في مواضع سابقة، أما ما التقى بما بعدها فالبحث بصدد دراسته في ما يأتي.

---

1 - مدخل إلى القرآن الكريم، ص 156-157 .
2 - فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار،عمان الأردن، ط2، 1422هـ ، ص 326.
3 - برهان الدين أبو الحسن البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، ط2، 1413هـ ج8،ص70.

- **المقطع الأول:**

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف 103).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (يونس 75).

الموضع الأول من هذا المقطع: في الأعراف ذكر البعث لموسى (عليه السلام) وحده، وفي يونس لموسى وهارون عليهما السلام.

الموضع الثاني: قدم ذكر المرسل به: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ﴾ على ذكر المرسل إليهم في الأعراف، وعكس ذلك في يونس ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾.

وقاعدة التقديم والتأخير معلومة عند أهل البلاغة: حيث إن التقديم يكون لما يراد الاهتمام به، وعليه فالاهتمام في الأعراف بالقصد الأول كان بالمرسل به، وفي يونس كان الاهتمام بالمرسل إليه وسبب الاهتمام سياق كل سورة .

الموضع الثالث: اختلف التذييل في الآيتين ففي الأعراف: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، وفي يونس: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

لقد كان الحديث في الأعراف عن خبر بني إسرائيل، وأحوالهم مع فرعون، ثم بعد نجاتهم منه، فذكر في بداية قصتهم موسى ولم يذكر معه هارون،لأن القصد كان هو الإشارة إلى المعجزات الحسية التي أيد الله بها نبيه موسى (عليه السلام)، ومعلوم أن هذا الأمر اختص به ولم يشاركه فيه هارون، ولم يذكر الله سبحانه هارون إلا حين عبد بنو إسرائيل العجل، ورجع موسى وأخذ برأس أخيه، ولهذا قدم في الأعراف ذكر المرسل به: ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾، لأن الغرض ذكر أحوال بني إسرائيل، وبهذا كان تذييل الآية خبرا عن حال الآيات المرسل بها، وأن آل فرعون ظلموا بها، فكان عاقبتهم الخسران: ﴿فَظَلَمُواْ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ .

وأما يونس فلما كان سياقها يبين موقف المشركين من إرسال الرسول (ص) نفسه، لعجبهم من نزول الوحي على رجل منهم، فقد ذكر في السورة من قصة موسى ما يناسب ذلك، لأن الحديث كان عن إرسال الرسولين إلى الظالم العاصي، وبيان موقفه منهما، ولذلك كان التذييل خبرا عن المرسل إليه ببيان حقيقة حاله: ﴿فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الأعراف104).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ (الزخرف46).

موضع واحد فقط: زيادة لفظ ﴿مِّن﴾ في الأعراف، وفي الزخرف على الإضافة.

لقد كانت هذه الآية بعد الآية الأولى التي افتتحت فيها قصة موسى (عليه السلام) مع فرعون وكانت الآية الأولى ملخصا مجملا للقصة قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف 103).

ثم تبدأ هذه الآية التي معناها تفصيل القصة، ولهذا فإنها عطفت على التي قبلها بالواو ومؤذنة بأنها تفصل ما أجمل فيها.[1]

قال السعدي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ " أي إني رسول من مرسل عظيم، وهو رب العالمين الشامل للعالم العلوي والسفلي مربي جميع خلقه بأنواع التدابير الإلهية، التي من جملتها أنه لا يتركهم سدى، بل يرسل إليهم الرسل مبشرين ومنذرين، وهو الذي لايقدر أحد أن يتجرأ عليه ويدعي أنه أرسله أو لم يرسله ...فحقيق علي أن لا أكذب عليه ولا أقول عليه إلا الحق، فإني لو قلت غير ذلك لعاجلني بالعقوبة... " [2]

وأما الزخرف فإنها لم تبن على ما بنيت عليه الأعراف من التفصيل، بل كانت تذكر من قصة موسى ما يوافق ما كانت الزخرف تعالجه من أحوال المشركين مع النبي (ص) ، وقد كانت الزخرف تدعو إلى التوحيد وقد جاءت قصة موسى (عليه السلام) معقبة لما أمر الله به من النظر في دعوة المرسلين جميعا، فكان في إضافة ﴿رَسُولُ﴾ إلى ﴿رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ بيان من موسى لحقيقة أمره، وهو أنه لم يأت لينازع فرعون ملكه، وليس له غرض إلا أنه رسول أرسله رب العالمين، وفي إضافة ﴿رَّبِّ﴾ إلى ﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ بيان لحقيقة الرسالة ونفي لما ادعاه فرعون من الربوبية.

---

[1] - محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع،تونس، ط1997، ج9، ص37.

[2] - عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح ، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1417هـ ، ص 261.

- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الأعراف 107)

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ (طه 20).

وقال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ (الشعراء32).

وقال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ (النمل10).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ (القصص31).

مواضع الالتقاء: في الأعراف والشعراء: ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ وفي طه ﴿حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ وفي النمل والقصص ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾.

إن أقوال المفسرين على الثعبان: ما جمع بين وصفتين، الذكورة والعظم والكبر.[1]

وأما الجان: فهو ما جمع بين وصفين أيضا: الصغر وسرعة الحركة .[2]

وأما الحية: فهي اسم جنس يقع على الصغير والكبير، والذكر والأنثى.[3]

وقد كانت حصيلة ما قاله أهل التفسير في الاختلاف بين هذه المواضع تتلخص في:[4]

لقد كان تسمية العصا المنقلبة بالثعبان في الأعراف والشعراء، وهذان الموضعان قد ألقيت العصا فيهما أمام فرعون أول قدوم موسى (عليه السلام) إليه، حين طلب منه فرعون آية على صدقه، لذا فإن الله سبحانه قد أرى فرعون الآية في أعظم أحوالها لعله يتبع الحق ويؤمن به.

وأما طه فإن آية العصا وصفت فيها بأنها حية، والحية لا تخالف الوصفين الآخرين، وفي هذه السورة فإن الوصف يبين الآية على الحال الذي تظهرها الآية، غير ناظر إلى حال موسى (عليه السلام) في فزعه، ولا إلى حال فرعون، كما أن لفظ الحية يعطي معنى الحياة الذي يخالف حال العصا الجامد، و وصفها بالسعي تقرير لذلك، كما أن سورة طه كانت تتلطف

---

[1] - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تح، عبد الله التركي، دار هجر،القاهرة، ط1، 1422هـ ،ج1، ص596.

[2] - أبو جعفر النحاس، معاني القرآن، تح، محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1 ، 1409هـ ، ج5 ص 60 .

[3] - جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تص، محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ ،ج3، ص56.

[4] - السمرقندي، تفسير السمرقندي، تح، محمود مطرجي، دار الفكر،بيروت، دت، ج2، ص 574.

بالنبي (ص) حين بينت له لطف الله بموسى حين ناداه باسمه، وحين قال لـــه مطمئنـــا: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ﴾ (طه21).

وأما وصف الجان فكان في سورتي النمل والقصص، وهو وصف لما رآه موسى فـــي الطور، وسورة النمل تبين خبرا من أخبار القرآن وعجائبه لنبينا محمـــد (ص) ، وقـــد وردت القصة مختصرة قد استوعبت شأن بني إسرائيل من إرسال موسى (عليه السلام) حتى نهايـــة فرعون، فكانت بهذا تبين عجيب أمر القرآن، وعظيم أخباره كما هو ظاهر في افتتاحها، وسورة طه تصف مبدأ رسالة موسى (عليه السلام) وجلالتها حين كلمة ربه وأمره بإلقاء العصا والذي كان من عجيب أمرها أن انقلبت حية تشبه الجان الصغير في حركته وسرعته.

وأما سورة القصص فإنها كانت تبين حال المستضعفين في الأرض الـــذين أراد الله أن يمن عليهم وينقذهم مما هم فيه، فابتدأت ذكر أمر الرسالة مفصلة وأمر تلقيه لهـــا كمـــا كانـــت تفصل أحواله قبل ذلك، ومن هذه الأحوال انقلاب العصا حية تشبه الجان: وما صاحب ذلك من تولي موسى مدبرا ومن نداء الله له لطفا به.

- المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (الأعراف 109-114).

وقال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾﴾ (الشعراء 34-42).

الموضع الأول: في الأعراف القائل هم المـــلأ: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ وفي الشعراء القائل هو فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

لقد سعى المفسرون في الجمع بين موضع الأعراف والشعراء، وتتفق أقوالهم علـــى أن فرعون قد قال وقوله ما قصته الشعراء، والملأ قد قالوا وقولهم ما قصته الأعراف، وهذا هـــو

ظاهر القرآن، ثم حكوا أقوالا في حقيقة قول فرعون وقول الملأ، فمنهم من يجعل القول لفرعون ثم تبعه الملأ، ومنهم من يجعل قول فرعون للملأ وقول الملأ لأعقابهم، ومنهم من يجعل قول الملأ تبليغا لقول فرعون.[1]

وعلى جمع الأقوال فقول فرعون كان متقدما على قول الملأ، وهو ما يؤكده الخطاب القرآني في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ﴾ (الزخرف54).

ومن سياق الأعراف الذي يقص خبر بني إسرائيل مفصلا فإن ذكر قول الملإ فيها يبين أن الرأي قد استقر على ذلك، فهو بهذا يبين رأي فرعون ورأي الملأ. لأن الملأ تبع له، كما أن فرعون من جملة الملإ.

وأما سورة الشعراء فقد عنيت بذكر إعراض المعرضين عن رسالات الله، وشدة عنادهم الذي يقابل شدة حرص الرسل على إيمانهم، وكانت السورة تحكي ما دار بين موسى (عليه السلام) وفرعون، وتظهر شدة عناده، فهذا سر اختصاص الشعراء بقول فرعون.

الموضع الثاني من هذا المقطع: في الأعراف: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ﴾ وفي الشعراء زيادة: ﴿بِسِحۡرِهِۦ﴾.

قال الإسكافي: " لما أسند الفعل في سورة الشعراء إلى فرعون، وحكى ما قاله وأنه قال للملأ حوله من قومه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾، وكان أشدهم تمردا وأولهم تجرءا ، وأبلغهم فيما يرد به الحق، كان في قوله: ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ﴾ ذكر السبب الذي يصل به إلى الإخراج: وهو ﴿بِسِحۡرِهِۦ﴾ فأشبع المقال بعد قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾ بأن يذكر أنه ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡ أَرۡضِكُمۡ بِسِحۡرِهِۦ﴾ ".[2]

وأما الأعراف فقد خلت من التوكيد; لأنها تقص الخبر كما حصل بتفصيله، ولم يكن لها غرض في بيان حال فرعون بخصوصه، حيث كانت الزيادة مسوقة لبيان حاله في شدة عداوته.[3]

الموضع الثالث من هذا المقطع: في الأعراف: ﴿وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ وفي الشعراء: ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾.

---

1 - ينظر: الكشاف، ج2، ص134، وروح المعاني، ج9، ص22.

2 - محمد بن عبد الله الأصبهاني (الخطيب الإسكافي) ، درة التنزيل وغرة التأويل ، تح ، محمد مصطفى آبدين، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ ، ج2، ص 651-652 .

3 - أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في آي التنزيل، تح، سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1403هـ ، ج1، ص564.

فلما كانت الأعراف معنية بإيراد الخبر وبيانه، فقد كان لفظ الإرسال هو الذي يبين ذلك; لأن هذا اللفظ يدل على أن الذي حصل هو أن فرعون قد أحصى السحرة بما أرسله من رسل يتتبعون أمره في هذه المهمة ويمتدون ويتتابعون أرسالا في البلاد حتى لا يبقى من السحرة أحد يتخلف.

وأما الشعراء فكانت معنية ببيان شدة حرص فرعون على المغالبة، ولقد كان الملأ الذين يشيرون عليه على شاكلته فهم حريصون كذلك، ولهذا فقد أشاروا عليه بما يحقق هذا الغرض في نظرهم، هو أن يطلبوا السحرة بواسطة الحاشرين من أتباع الملك، وحتى تتم هذه المهمة، فإنه لا بد من إثارة هؤلاء الحاشرين وتهييجهم، ولفظ البعث هو الذي دل على هذا التهييج كما في أصله اللغوي. [1]

الموضع الرابع: في الأعراف: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ﴾، وفي الشعراء: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾.

قال ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (الأعراف 112)، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم وابن عامر: ﴿سَحِرٍ﴾ ، وفي يونس ﴿بِكُلِّ سَحِرٍ عَلِيمٍ﴾ (يونس79)، وقرأ حمزة والكسائي ﴿سَحَّارٍ﴾ في الموضعين ولا خلاف في الشعراء أنها: ﴿سَحَّارٍ﴾ " [2]

إذن لم يرد في الشعراء إلا صيغة ﴿سَحَّارٍ﴾ وهذه هي الصيغة المناسبة لما بنيت عليه الشعراء من إظهار شدة مغالبة فرعون الذي أشار عليه ملؤه فجاؤوا بكلمة الإحاطة وصفة المبالغة ليطمئنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه. [3]

أما الأعراف فإنها كانت تقص الخبر وتسجل التاريخ، ولهذا فكانت صيغة ﴿سَحِرٍ﴾ كافية في بيان هذا، وصيغة ﴿سَحَّارٍ﴾ لا تعارضها في إثبات الخبر، وذلك أن صيغة المبالغة تدل على ما تدل عليه الصيغة الأخرى وزيادة. [4]

---

1 - ملاك التأويل، ج1، ص568 بتصرف.
2 - زاد المسير، ج3، ص239.
3 - الكشاف، ج3، ص302.
4 - محمد بن احمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ ، ج7، ص164.

الموضع الخامس من هذا المقطع: اختصت الشعراء بقولـــه تعـــالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝٤٠﴾ (الشعراء 38-40).

قال ابن الزبير: " واختصاص الشعراء بالاستيفاء والجواب عن ذلك أن قولـــه تعـــالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ﴾ إلى ما اتصل بذلك مما يتضمن معناه، فيه إطناب يناسب ما تقدم من ذلك في محاورة موسى (عليه السلام) ومكالمته فرعون من لدن قوله تعـــالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ (الشعراء10) إلى هذه الآية، ولم يقع في قصصه (عليه السلام) في السور الوارد فيها قصصه من الإطالة في مراجعه فرعون مثل الوارد هنا، فناسبه ما أعقب به مما لم يقع الإخبار في الأعراف، ولما كان الوارد قبل آية الأعراف مبينا على الإيجاز، ويحصل المراد بأوجز كلام، ناسبه إيجاز الآية المذكورة ". [1]

الموضع السادس: ﴿وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرۡعَوۡنَ قَالُوٓاْ﴾ هذا في الأعراف، أما في الـــشعراء: ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ﴾.

الموضع السابع: في الأعراف ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا ﴾، وفي الشعراء ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا ﴾.

الموضع الثامن: في الأعراف: ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ لَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾، وفي الشعراء: ﴿قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾.

لما كان المقصود في سياق الأعراف اقتصاص الخبر وتسجيل التاريخ، فقد ذكر مجيء السحرة لفرعون، وأنهم بمجرد مجيئهم سألوه الأجر.

قال الزمخشري: " فإن قلت: هلا قيل: وجاء السحرة فرعون فقالوا ؟ قلت: هـــو علـــى تقدير سائل سأل: ما قالوا إذ جاءوه ؟ فأجيـــب بقولـــه: ﴿قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ أي جعلا على الغلبة، وقرئ: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا ﴾ على الإخبار ". [2]

وأما خلوا الأعراف من زيادة حرف التأكيد ﴿ إِذًا﴾، فلأن هذا الحرف يكشف عن حال فرعون وضراوته في المغالبة، ولم يكن مبنى الأعراف وسياقها على هذا.

[1] - ملاك التأويل، ج1، ص566.
[2] - الكشاف، ج2، ص 134.

وأما الشعراء فإنه لما كان الغرض فيها ذكر حال المناظرة وقوة المغالبة فيها، واحتشاد أهل الباطل لرد الحق، فقد كان الحديث عن ذلك، وقد كان مفتاح ذلك ما افتتح به الموضع من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا﴾.

قال السهيلي: " "لما" ليست في الحقيقة ظرف زمان، ولكنه حرف يدل على ارتباط الفعل الثاني بالأول وأن أحدهما كالعلة للآخر". [1]

وهي تفيد أيضا التعقيب، وموضع الأعراف يؤكد ذلك، والتعقيب فيه زيادة تأكيد لاهتمامهم بما يدل عليه التعقيب من سرعتهم ومبادرتهم في مفاتحة فرعون.

وأما قولهم الذي قالوه لفرعون وهو محل الغرض، فهو اشتراط الأجر، وقد جاء في الشعراء بصيغة الاستفهام بذكر حرفه، زيادة في تأكيد اهتمامهم بالأمر وكان جواب فرعون مكافئا لاهتمامهم، كما يبينه زيادة لفظ ﴿إِذًا﴾ ، وشدة الاهتمام من السحرة ومن فرعون: هي شدة المغالبة والعناد الذي تبينه سورة الشعراء.

- المقطع الخامس:

قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَـٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَـٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ (الأعراف 115-126).

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ

[1]- أبو القاسم عبد الرحمن السهيلي، نتائج الفكر، تح، محمد ابراهيم البنا، دار الرياض، دت، ص 127.

ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِي فَطَرَنَاۖ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴾ (طه 65-73).

وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (الشعراء 43-51).

الموضع الأول في هذا المقطع: في الأعراف وطه استأذن السحرة موسى (عليه السلام) في أيهما الذي يبدأ، ولم يذكر الاستئذان في الشعراء بل اقتصر على ذكر قول موسى للسحرة بالإلقاء.

وسبب ورود ذكر الاستئذان في الأعراف، هو ما اختصت به هذه السورة من اقتصاص الخبر، وهي بذلك تسجل العظة والعبرة من إيراد القصة بالتفصيل.

أما طه فكانت تلحظ لطف الله بموسى ومن هذا اللطف ما جرى بينه وبين السحرة، فبدأت السورة خبره مع السحرة من أوله وهذا ما سيبدو عند تناول هذه السورة بالدراسة.

وأما الشعراء فلم يرد فيها الاستئذان، لأنها كانت معنية ببيان عناية موسى (عليه السلام) بأمر الرسالة، فلم يكن ذكر الاستئذان في الأعراف: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾، وفي طه تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه، كما يفعل أهل الصناعات إذا التقوا كالمتناظرين، قبل أن يتخاصموا في الجدال، والمتصارعين قبل أن يتآخذوا للصراع. وقولهم: ﴿وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾ فيه ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله، من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر، أو تعريف الخبر وإقحام الفصل، وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه، ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي، وأن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا ". [1]

[1] - الكشاف، ج2، ص135.

الموضع الثالث في هذا المقطع: في الأعراف كان جواب موسى (عليه السالم) لاستئذانهم: ﴿قَالَ أَلْقُواْ﴾ وفي طه: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ﴾ ، وفي الشعراء ذكر جواب لموسى لاستئذانهم المحذوف بقوله: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ﴾.

أورد ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿بَلْ أَلْقُواْ﴾، قال ابن الأنباري: دخلت ﴿بَل﴾ لمعنى جحد في الآية الأولى، لأن الآية الأولى إذا تؤملت وجدت مشتملة على إما أن تلقي وإما أن لا تلقي". [1]

الموضع الرابع: كان الخبر عن إلقاء السحرة في الأعراف بقوله: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾، وفي طه قال: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ (طه 66- 68) ، وفي الشعراء: ﴿فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

قال ابن جزي مفسرا قوله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ﴾... انظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية ؟ إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه ". [2]

ففي الأعراف كان من تمام قص الخبر، أن أعقبت الآيات حال السحرة ببيان حال سحرهم، وكيف كان وقعه على الناس وهذا مما اختص به سياق الأعراف.

وأما طه فكانت معنية بذكر حال موسى (عليه السلام) ، وقد اقتصرت كما في الموضع الثاني على ذكر تخيير السحرة، دون أن تذكر من يبدأ تأكيدهم لغلبتهم، واختياره (عليه السلام) بدؤهم هو استخفاف بهم. [3]

ولهذا كان التذييل الذي اختصت به طه خبرا عن حال موسى (عليه السلام) وإظهارا لمعية الله ولطفه به، على ما يعطيه حرف الإضراب ﴿بَل﴾ من التأكيد.

وأما الشعراء فإنها كانت معنية بأمر الرسالة، وبلاغ موسى (عليه السلام) لها وحرصه عليها، قال ابن عاشور: " وفي كلام موسى (عليه السلام) استخفاف بما سيلقونه; لأنه عبر عنه بصيغة العموم، أي ما تستطيعون إلقاءه ". [4]

---

1 - زاد المسير، ج5، ص301.
2 - أحمد بن أحمد بن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل ، دار أم القرى،مكة المكرمة، د ط ت ، ج2،ص75.
3 - الكشاف، ج2، ص135 بتصرف.
4 - التحرير والتنوير، ج 19، ص127.

الموضع الخامس: في الأعراف كان الأمر لموسى (عليه السلام) بصيغة الوحي: ﴿وَأَوْحَيْنَآ﴾، وفي طه بصيغة الأمر المباشر: ﴿وَأَلْقِ﴾، وفي الشعراء لم يتقدم أمر، بل كان موسى هو الملقي: ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ﴾.

لقد كانت الأعراف تقص خبر بني إسرائيل وتأريخهم، وهي هنا تقص خبرهم مع فرعون، وكانت صيغة الوحي في الأعراف هي المنبئة عن بيان الخبر وتفصيله; فهي تبين أن الله أوحى إلى نبيه (عليه السلام) لما ألقى السحرة سحرهم.

وأما طه فكان المناسب لسياقها هو صيغة الأمر المباشر، فإن هذا الأمر المباشر من الله يدل على تمام العناية بموسى (عليه السلام) والنصرة والتأييد له، وذلك أنه يدل على السرعة في الإلقاء، فيدل على السرعة في الغلبة، ﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ﴾ وقعت مجزومة جوابا للأمر، فيكون المعنى: إن تلقه تتلقف. [1]

وأما الشعراء فكان الغرض فيها بيان الرسالة ذات الشأن التي أرسل بها موسى وما أداه من الله في ذلك، فكانت تلحظ عناية موسى (عليه السلام) وحرصه على ما كلف به من أمر الرسالة وأن فرعون لم تفده تلك الرسالة شيئا.

الموضع السادس: في الأعراف كان الإلقاء للعصا بلفظها: ﴿عَصَاكَ﴾ ، وفي الشعراء كذلك: ﴿عَصَاهُ﴾ ، وأما في طه فأبهمها فقال: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾.

لما كانت الأعراف تقص خبر بني إسرائيل، فقد كان الأصل فيها هو الإفصاح والبيان لا الإبهام، فالغرض هو بيان الأمر الذي جرى لا إبهامه، والذي جرى هو أن موسى أمر بإلقاء العصا فالتقمت سحر السحرة كما هو في القصة.

أما طه فقد رأى بعض المفسرين الإبهام فيها: بأنه مراد به التأنيس لموسى كما هو سياقها.

قال الزمخشري: "وقوله: ﴿مَا فِي يَمِينِكَ﴾، ولم يقل عصاك، جائز أن يكون تصغيرا لها: أي: لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم وألق العويد الصغير الجرم الذي في يمينك، فإنه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها. وجائز أن يكون تعظيما لها، أي: لا تحتفل بهذه على كثرتها أقل شيء و أنزره عنده، فألقه يتلقفها بإذن الله ويمحقها ". [2]

---

[1] - الجامع لأحكام القرآن، ج11، ص 149.
[2] - الكشاف، ج3، ص72.

وقال ابن عاشور " وعبر له عن العصا بـــ ﴿مَا﴾ الموصولة تذكيرا له بيوم التكلـــيم إذ قال له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ﴾ (طه17) ليحصل له الاطمئنان بأنها صائرة إلى الحالـــة التي صارت إليها يومئذ، ولذلك لم يقل له: وألق عصاك " [1]

ولأبي حيان نكتة أخرى، وهي أن ما في اليمين يشعر باليمن و البركة " [2] وهي أيـــضا لا تخالف ما قبلها.

وأما الشعراء; فإنه لما كان الغرض فيها بيان شأن الرسالة التي أرسل بها موسى (عليه السلام) وحرصه وعنايته بها، فقد كان الشأن فيها الإفصاح بما فعل موسى (عليه السلام) فـــي مغالبته لهم، والذي فعله أنه ألقى عصاه فالتقمت ما يأفك القوم.

الموضع السابع: في الأعـــراف والـــشعراء: ﴿تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾،وطـــه: ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ﴾.

قال صاحب أضواء البيان: " ﴿مَا يَأْفِكُون﴾، أي: يختلقونه و يقترفونه من الكذب، وهـــو زعمهم: أن الحبال والعصي تسعى حقيقة، وأصله من قولهم أفكه عن شيء يأفكه عنه، من باب ضرب: إذا صرفه عنه وقلبه". [3]

وأما الذي في طه فقيل كان خطابا لموسى (عليه السلام).

قال أبو السعود: " والتعبير عنها بما صنعوا للتحقير، والإيذان بالتمويه والتزوير ". [4]

الموضع الثامن: ذكر الله سبحانه في الأعراف قبل إلقاء السحرة سجدا قوله: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾) وفي طه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾.

الموضع التاسع: في الأعراف: ﴿وَأُلْقِيَ﴾ وفي طه والشعراء بالفاء: ﴿فَأُلْقِيَ﴾.

ومن المواضع الثلاثة الأخيرة نستنتج أنه لما كانت الأعراف معنية بذكر ما يبين الخبر، فكان أول الخبر أن العصا لقفت كل باطل السحرة، وعبر عنه بالإفك وكان عاقبتهم أن انقلبـــوا صاغرين.

---

1 - التحرير والتنوير، ج16، ص260.
2 - محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1413هـ، ج6، ص241 بتصرف.
3 - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1413هـ ، ج4 ، ص477.
4 - أبو السعود محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث،بيروت، ط4، 1414هـ ، ج6 ، ص28.

قال ابن جرير: " فغلب موسى فرعون وجموعه ﴿هُنَالِكَ﴾: عند ذلك، ﴿وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾، يقول: وانصرفوا عن موطنهم ذلك بصغر مقهورين ". [1]

قال ابن عاشور: " عطف على: ﴿فَغُلِبُوا﴾ – ﴿وَٱنقَلَبُوا﴾ فهو في حيز فاء التعقيب، أي: حصل ذلك كله عقب تلقف العصا ما يأفكون، أي بدون مهلة ". [2]

وفي طه طمأن الله سبحانه موسى (عليه السلام) وهذا ما يوافق سياقها فيظهر له من لطفه ما يظهر في تذييل الآية بنفي مطلق ﴿ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾ .

وأما العطف بالفاء في الموضع التاسع ﴿فَأُلْقِىَ﴾ فإنه يبين سرعة إلقاء السحرة، بما تفيده الفاء من التعقيب كما أنها تفيد التسبيب، وعليه فيتبين أن إلقاء السحرة كان بسبب إلقاء موسى (عليه السلام) وفي هذا من اللطف بموسى ما هو ظاهر، كما تبين بما أفادته الفاء أن السحرة قد بادروا بالخضوع والسجود.

أما سورة الشعراء فذكرت هزيمة السحرة بالوصف الذي يبين حقيقتها، وهو الإفك، وأن تقتصر على ذلك فلا يكون فيها مثل ما في الأعراف من الزيادة وكان التعقيب بالفاء فيها هو المناسب لأنه يبين السرعة في نصر الحق والسرعة في هزيمة الباطل كما أنه يبين من وجه آخر سرعة السحرة في الاهتداء حين أراد الله لهم ذلك.

الموضع العاشر: في الأعراف والشعراء: ﴿سَٰجِدِينَ﴾ ،و في طه ﴿سُجَّدًا﴾ والكلمة في الصيغتين حال والحال نوع من الإخبار: " وذلك لأن الحال خبر في الحقيقة، من حيث إنك تثبت بها المعنى لدى الحال، كما تثبت بخبر المبتدأ للمبتدأ، وبالفعل للفاعل ". [3]

إن صيغة جمع المذكر السالم بما تفيده من قصد آحاد الجموع تفيد أن السحرة جميعهم قد سجدوا لم يتخلف منهم أحد، وهذا هو المناسب لاستقصاء الخبر كما هو سياق الأعراف.

أما الشعراء فإنها كانت بصدد تأنيس النبي (ص) ، فقد أبانت ظهور الآيات البينات على يد موسى (عليه السلام) ، كما تبين السورة استجابة فرعون للسحرة وحفاوته بهم، واعتماده عليهم، وبهذا يتبين أن أمر موسى رباني، إذ يستحيل أن يتفق الجميع على الخضوع والإيمان وكل هذا من سر سياق هذه السورة وسر ورود هذه الصيغة أي صيغة جمع المذكر السالم.

أما طه فوردت فيها صيغة جمع التكسير، وهذه الصيغة لا يقصد بها تعيين آحاد الجموع; لأنه لم يكن يقصد الكشف عن حال السحرة، بل كان القصد فيها بيان نصر الله لموسى

---

[1] - جامع البيان، ج10، ص361
[2] - التحرير والتنوير، ج9، ص52.
[3] - دلائل الإعجاز، ص 173.

(عليه السلام) ومعيته سبحانه له، تأنيسا للنبي (ص) وأصحابه في حال ضعفهم وخوفهم وهذا الموافق لسياق السورة.

الموضع الحادي عشر: في الأعراف والشعراء زيادة: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ وليست هذه الزيادة في طه .

لقد كان الموضع السابق يلحظ في الأعراف والشعراء حال السحرة، وأما طه فكان النظر فيها لحال موسى (عليه السلام) وهذا هو السبب في الزيادة.

فقد زيدت في الأعراف لتتم الخبر عن السحرة، وتبين أنهم أعلنوا إيمانهم برب العالمين مع سجودهم، وأن سجودهم كان إيمانا بالله.

وأما الشعراء فكانت الزيادة تبين أن السحرة أعلنوا إيمانهم برب العالمين، فظهرت هاديتهم، وقامت الحجة على المكابرين.

وأما طه فإنها قد خلت من هذه الزيادة لأن الخبر في السورة كان عن موسى ولم يكن عن السحرة .

الموضع الثاني عشر: في الأعراف والشعراء: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

وفي طه: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾.

قال الدكتور محمد أبو موسى: " أما تقديم هارون على موسى في آية طه ففيه إشارة معنوية لا تكون لو أخر، وذلك أن موسى وهارون وإن حملا معا أمر الله: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ (طه 43) ، إلا أن موسى (عليه السلام) هو الأصل فهو الذي خوطب: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ﴾ (طه42) وهو الذي أوتي الكتاب وأيد بالحجة وهذا يجعل لقولهم: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾ معنى ليس في قولهم: " آمنا برب موسى وهارون " ; لأن بدءهم بمن ليس أفضل دال على قوة الاقتناع بالحجة والإيمان بها ... ويلاحظ أن سياق سورة طه فيه فضل عناية ببيان حفاوة السحرة بهذه المغالبة ... " [1]

ففي سورة طه تبين لطف الله بهارون وموسى (عليهما السلام) بعد الاحتشاد وشدة المغالبة، حين أعلن أهل المغالبة المباشرين لها قوة إذعانهم وخضوعهم، وعليه فإن الخبر في طه كان غرضه بالقصد الأول، بيان حال موسى وهارون لا حال السحرة.

الموضع الثالث عشر: في الأعراف: قال: ﴿قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، وفي طه والشعراء الفاعل مضمر: ﴿قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾.

[1] - محمد أبو موسى، الإعجاز البلاغي – دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1418هـ،ص199.

لقد كان سياق الأعراف سياق تفصيل فبين المحاورة بين فرعون والسحرة، كما أظهرت السورة حرص الملأ من قوم فرعون، ومشورتهم له، ولما تمت المغالبة وآمن السحرة كان المهدد لهم فرعون نفسه ، فأظهر في هذه السورة ليبين ما هو من شأن فرعون مما هو من شأن الملأ.

وأما طه والشعراء فكان الإضمار فيهما هو الأصل، وليس للإظهار غرض ، فإن قول فرعون كان في سياق المحاورة مع السحرة، والكلام كله عنه، ولم يكن عن الملأ إخبار حتى يميز ما بينهما، كما أنه لم يقصد في السورتين استقصاء الخبر. [1]

الموضع الرابع عشر: في الأعراف: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ﴾، وفي طه والشعراء: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾.

قال ابن تيمية: " يقال للمخبر آمنا له، وللمختبر به آمنا به ". [2]

قال أبو السعود العمادي: " قال: أي فرعون للسحرة: ﴿ءَامَنتُمۡ لَهُۥ﴾أي: لموسى (عليه السلام) ، واللام لتضمين الفعل معنى الاتباع ". [3]

فسورة الأعراف ذكرت أن فرعون كان يؤنب السحرة على إيمانهم بالرسالة، وفي طه والشعراء كان يؤنبهم على الإيمان لموسى (عليه السلام) خاصة .

فالأعراف كانت تقص القصة وتتقصى الخبر، فإنها بينت موقف فرعون من الرسالة التي جاء بها موسى (عليه السلام). فساقت موقفه منها في تهديده للسحرة .

وأما طه فإنها كانت تتحدث عن موسى (عليه السلام) وتبين لطف الله به، فكانت السورة تبين ضراوة فرعون في عداوته وبطشه، فتبين بذلك لطف الله بنبيه ونصره له.

وأما سورة الشعراء فإنها تكشف حال فرعون، وأنه كان معاديا لموسى وحاله هذه كحال الكفار المعادين للرسول (ص) ، وهذا من سياق الشعراء.

الموضع الخامس عشر: في الأعراف: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَا ﴾وفي طه والشعراء: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ﴾.

في الأعراف كان تبين موقف فرعون من الرسالة، وأنه رفضها برفضه ظهور الحجة وأن اللعين قد علل الذي حصل بالمكر والمكيدة، لا ظهور حجة وبرهان، فكان التعليل المطابق له أن يكون بيانا لموقفه من هذا الحق.

---

1 - درة التنزيل، الخطيب الإسكافي، ج2، ص662 بتصرف.
2 - فتاوى ابن تيمية، ج7، ص 529.
3 - إرشاد العقل السليم ، ج2، ص29.

أما طه فالحديث فيها كان عن موسى، وموقف فرعون منه، فمن المناسب أن يذكر فيها فرعون والذريعة التي اتخذها لإبطال اتباع موسى (عليه السلام) بأنه الساحر الأكبر الذي علم السحرة السحر . والشأن نفسه مع سورة الشعراء في هذا الموضع .

الموضع السادس عشر: في الأعراف: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وفي الشعراء: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، وفي طه ذكر العقوبة مباشرة .

قال أبو السعود:" ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، أي عاقبة ما فعلتم، وهذا وعيد ساقه بطريق الإجمال للتهويل، ثم عقبه بالتفصيل فقال: ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ﴾ أي: من كل شق طرفا ، ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تفضيحا لكم وتنكيلا لأمثالكم " [1] .

وأما عن زيادة اللام في الشعراء فقال ابن الجوزي: " قوله تعالى: ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾قال الزجاج: اللام دخلت للتوكيد ". [2]

إن التهديد المجمل في الأعراف هو من الزيادة في تفصيل الخبر وهو ما يبين أن فرعون هدد أولا بإجمال، ثم هدد ثانيا بتفصيل العقوبة، وموضع العبرة في الأعراف هو من سوقها القصة بتفاصيلها.

أما الشعراء فقد وردت بها زيادة الجملة المجملة للعذاب، لأنها تبين حال فرعون في مغالبته للحق، كما أتت زيادة اللام لتبين ضراوة فرعون وشدته وتبين صبر السحرة وهدايتهم.

وأما طه فإنها خلت من جملة الإجمال هذه، وفصلت حال التهديد مباشرة لتبين صبر السحرة على ما يريده فرعون من فتنتهم عن دينهم، وبيان صبر السحرة على دينهم هو المناسب لسياق سورة طه من معالجة أحوال المؤمنين المستضعفين.

الموضع السابع عشر: من هذا المقطع: في الأعراف: ﴿ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ﴾، وفي طه والشعراء: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُم﴾.

قال ابن عاشور: " دلت ﴿ثُمَّ﴾ على الارتقاء في الوعيد بالصلب، والمعروف أن الصلب أن يقتل المرء مشدودا على خشبة ". [3]

ثم وضع ابن عاشور احتمالا آخر لمعنى الآية وهو أن تكون ﴿ثُم﴾ تدل على الترتيب والمهلة الزمنية فقال: ولعل المهلة قصد منها مدة كي واندمال موضع القطع". [4]

---

1 - إرشاد العقل السليم، ج3، ص261.
2 - زاد المسير، ج6، ص124.
3 - التحرير والتنوير، ج9، ص55.
4 - التحرير والتنوير، ج9، ص55.

ومنه فإن تميز الأعراف بالعطف بالحرف ﴿ثُم﴾ إنما هو لما بنيت عليه السورة من تسجيل التاريخ، وأنها بذلك تبين حال تهديد فرعون بتفصيله، ثم إن السورة بذكر المهلة الزمنية تسجل خبرا وتبين حالا من أحوال فرعون كما هو سياقها العام.

الموضع الثامن عشر: في الأعراف والشعراء زيادة: ﴿أَجْمَعِينَ﴾فالأعراف لما وصفت حال السحرة بأعيانهم جميعهم، بينت حال فرعون منهم جميعا، وحاله أنه رأى سجودهم جميعهم، فإنه سيعذبهم كلهم جميعا، وهذا في الأعراف من تتمة الخبر وتفصيله، وفي الشعراء من بيان عتو فرعون وصلفه، وأما طه فلم تقصد الأعيان فلم يرد فيها هذا التأكيد.

الموضع التاسع عشر: في طه زيادة ذكر محل الصلب وهو جذوع النخل، ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾.

وهذه الزيادة مناسبة لطه لأنها تبين بالغ صبر السحرة على ما يتفتنون به.

الموضع العشرون: اختلاف جواب السحرة لتهديد فرعون، ففي الأعراف: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ ، وفي طه: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾، وفي الشعراء: ﴿قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَـٰيَـٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

ومن هذا الموضع تبين أن الأعراف قد استقصت الخبر كما هو شأنها دائما ولم تكن ناظرة إلى حال السحرة بخصوصه ولا إلى حال فرعون بخصوصه، بل بتسجيل القصة بما فيها من العبرة والعظة، لذا لم يرد فيها ما ورد في الشعراء من زيادة ﴿لَا ضَيْرَ﴾ لأن تلك الزيادة كانت تعني بشأن خاص من أحوال السحرة يناسب سياق سورة الشعراء.

أما سورة طه فإن مناسبة ما ذكر فيها من قول السحرة لسياقها، لأنها كانت تخاطب النبي (ص) والصحابة وهم في حال ضعف، وكان السحرة كذلك في حال استضعاف من فرعون بعد إعلانهم إيمانهم، وما في الحالين من شبه وهذا ما يناسب سياق السورة.

وأما الشعراء فقد أظهرت حفاوة السحرة بالهداية بما تميزت به من الزيادة عن الأعراف في قوله تعالى: ﴿لا ضَيْرَ﴾، والمعنى: " لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به "[1] وقد كان سياق الشعراء يؤنس النبي (ص) حتى لا يذهب به الحزن على إيمان قومه.

[1] - تفسير ابن كثير، ج 6، ص141.

- المقطع السادس:

قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ ﴾ (الأعراف 134-135)

وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الزخرف 49-50).

الموضع الأول: في الأعراف: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ﴾ ، وفي الزخرف: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾.

قال ابن كثير: " وكلما جاءتهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى (عليه السلام) ، ويتلطفون له في العبارة بقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ﴾ أي: العالم قاله ابن جرير، و كان علماء زمانهم هم السحرة، ولم يكن السحر في زمانهم مذموما عندهم، فليس هذا منهم على سبيل الانتقاص منه; لأن الحال ضرورة منهم إليه لا تناسب ذلك ، وإنما هو تعظيم في زعمهم ". [1]

وإن مما يؤيد ذلك أنهم وعدوا موسى (عليه السلام) بالاهتداء والإيمان جزاء كشف العذاب عنهم فلا يكون نداؤه بالساحر تهكما وقد أخبر الله عنهم أنهم كانوا ينكثون هذا العهد مرارا عند كل آية يكشفها الله عنهم.

أما في الأعراف فكان خطاب الله لموسى (عليه السلام) باسمه، لأن سياق السورة يبين الخبر، والنداء بالاسم هو الأصل في بيان الخبر، وأما النداء بالوصف فإنه يكون لغرض يعطيه معنى الوصف، مع ما يدل عليه السياق.

الموضع الثاني: في الأعراف: ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، وفي الزخرف: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾.

لقد كانت الآيات في الأعراف في سياق يصف آل فرعون، وموقفهم من موسى (عليه السلام) بعد الغلبة، وانه قد أصابهم من الآيات ما زلزلهم على ما يبينه لفظ الرجز ولما تتابعت عليهم الآيات فزعوا إلى موسى (عليه السلام) يطلبون منه الدعاء، ولما كان السياق يظهر مجابهتهم لموسى وكان موسى يريد منهم أمرين: أن يطيعوه وأن يرسلوا معه بني إسرائيل، وكان المناسب أن يتقربوا إليه لما فزعوا إليه بالأمر الذي يريد فأعلنوا إيمانهم ووعدوه بالاتباع لكنهم ينكثون في كل مرة.

[1] - تفسير ابن كثير، ج7، ص230.

أما الزخرف فكانت تشبه حال المشركين على عهد النبي (ص) بحال آل فرعون فتعظهم بقصتهم، فكان أن ذكرت الآيات وعهدهم بالاهتداء والدخول في الدين الحق، وكان وعدهم مؤكدا بالجملة الاسمية التي تدل على الثبوت والاستمرار، فتبين مبالغتهم في الوعد، حتى تبين عظيم ذنبهم بالنكث. [1]

وأما تخصيص الزخرف بلفظ الاهتداء فقد قال الراغب: " الهداية دلالة بلطف " [2] وهم كانوا يعدون من أنفسهم الهداية والانقياد والإتباع بلطف.

الموضع الثالث: في الأعراف: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ﴾ وفي الزخرف: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾.

قال ابن فارس: " الراء والجيم والزاء أصل يدل على اضطراب. من ذلك الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها، فإن ثارت الناقة ارتعشت فخذاها، ومن هذا اشتقاق الرجز من الشعر، لأنه مقطوع مضطرب".

لقد كان الرجز في الأعراف عذابا، لكنه ذكر بالوصف الذي يبين حاله لأن السورة تقتص الخبر وتبين تفاصيله، لذلك قد عددت السورة أنواع ذلك العذاب; من السنين والطوفان والجراد والقمل وغيرها، فهي بهذا تصف حال العذاب، وتصف أيضا من وقع عليه العذاب وأن نكوثهم كان عصيانا شديدا وتمردا.

أما الزخرف فإنها كانت تعظ المشركين، فكان المناسب أن تذكر العذاب باسمه.

الموضع الرابع: الزيادة في الأعراف موافقة لسياق السورة، لما تبينه من التفاصيل، قال ابن جرير: " ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ﴾ ليستوفوا عذاب أيامهم التي جعلها الله لهم من الحياة أجلا إلى وقت هلاكهم ". [3]

وأما الزخرف فلم يكن لهذه الزيادة غرض، لأنها لم تكن تعن بالتفاصيل إنما غرضها وعظ المشركين، وهذا يتم من غير الزيادة.

- المقطع السابع:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأعراف 150).

---

[1] - الجامع لأحكام القرآن، ج16، ص66 بتصرف يسير.
[2] - معجم مقاييس اللغة، ص 442.
[3] - جامع البيان، ج 10، ص402.

وقال تعالى: ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾ (طه86).

وقال تعالى: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ (طه94).

الموضع الأول: في أولى آيتي طه نداء موسى (عليه السلام) لقومه بقوله: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ﴾، وليس ذلك في الأعراف.

قال ابن عاشور: " وافتتاح الخطاب بـ ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ تمهيد للوم; لأن انجرار الأذى للرجل من قومه أحق في توجيه الملام عليهم، وذلك قوله: ﴿فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾" [1]، وهذا ملائم لسياق سورة طه لما اختصت به من خطاب موسى (عليه السلام) لعبدة العجل، فإنه ذكرهم بما يقرر هذا النداء، ويعظم عليهم الشناعة فيما ارتكبوا وذلك انه خاطبهم فقال: ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ﴾ ، وهذا الأسلوب من أساليب القرآن ينقلب فيه المضارع ماضيا; لأن "لم" حرف قلب، وينقلب فيه النفي إثباتا، لأن الهمزة الداخلة على "لم" مضمنة معنى الإنكار، فيتسلط النفي الكامن فيها على النفي الذي في "لم" فينفيه ونفي النفي إثبات، وأما الاستفهام فهو استفهام تقرير. [2]

الموضع الثاني: في الأعراف كان عتاب موسى لقومه بقوله: ﴿بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡ﴾، وأما في طه فقال: ﴿أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي﴾.

والمعنى في هذا الموضع متضمن في الموضع الذي قبله.

الموضع الثالث: في الأعراف: ﴿وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ﴾ وليست هذه الزيادة في طه.

الموضع الرابع: في الأعراف: ﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وفي طه: ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾.

1- التحرير والتنوير، ج16، 282.
2- أضواء البيان، ج4، ص537.

قال ابن جرير: " واختلف أهل التأويل في المعنى الذي عذل موسى عليه أخاه من تركه أتباعه، فقال بعضهم: عذله على تركه السير بمن أطاعه في أثره على ما كان عهد عليه... وقال آخرون: بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم ". [1]

ومن سياق الأعراف التي تقص الخبر وتتبعه من أوله، إذ ذكرت أو لا عتاب موسى لأخيه والمؤمنين معه على تركهم خلافته بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكذا عتابه لقومه العصاة على عبادتهم العجل، بهذا فإنها تستوفي الخبر، ولهذا فقد ذكر فيها إلقاء موسى الألواح كما في الموضع الثالث – ﴿وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ﴾ قبل أخذه برأس أخيه، ولم يذكر ذلك في طه، وكان جواب هارون خاليا من النداء; لأنه لم يرد فيها ما أراده في طه من المبالغة في الاستعطاف.

وأما المذكور في طه فقد كان آخر الأمر، بعد أن زاد موسى (عليه السلام) في الفعل والقول، أما الفعل فإنه زاد حتى أخذ باللحية مع الرأس، وأما القول فإنه زاد لوما لهارون على تركه أتباعه بمن أطاعه، فكان جواب هارون مناسبا لذلك من زيادة الاستعطاف بحرف النداء كما في الموضع الرابع، فكانت إجابته بأنه خشي مفسدة رآها أعظم من مصلحة اللحاق بأخيه، وهي مفسدة تفريق بني إسرائيل، وبهذا تمت مقاطع سورة الأعراف من هذه القصة.

سورة إبراهيم

وهي سورة مكية في قول الجمهور، ولم يقع الخلاف إلا في آيتين أو ثلاث منها. [2]

وكان سياق قصة موسى (عليه السلام) في هذه السورة، ظاهر في أمر الله سبحانه له بدعوة قومه، وتذكيرهم بنعم الله، فكان موسى (عليه السلام) هو المذكر بأمر الله له.

قال الله تعالى في أول آية من القصة: ﴿ وَلَقَد أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ ٱللَّهِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ۝٥ ﴾ (إبراهيم5).

وقد سبق ما التقى من هذه السورة الكريمة مع البقرة في الآية [49] ومع الأعراف في الآية [141].

أما آية سورة إبراهيم ففي قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ أَنجَىٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ۝٦ ﴾ (ابراهيم6).

[1] - جامع البيان، ج 16، ص145 – 146.
[2] - الجامع لأحكام القرآن، ج 9 ، ص222.

سورة طه

قال ابن عادل الدمشقي: " وقيل: إن هذه السورة (يعني طه) من أوائل ما نزل بمكة، وكان الرسول (ص) في ذلك الوقت مقهورا تحت ذل الأعداء، فكأن الله تعالى قال: لا تظن أنك تبقى أبدا على هذه الحالة، بل يعلو أمرك ويظهر قدرك، فإنا ما أنزلنا عليك مثل هذا القرآن لتبقى شقيا فيما بينهم، بل لتصير معظما مكرما ". [1]

ولعل المتأمل لهذه السورة الكريمة يلحظ منذ بدايتها أن سياقها هو اللطف بالنبي (ص) وصحبه، والشد من أزرهم، وتقوية قلوبهم في مواجهة أعدائهم في تلك المرحلة الصعبة، والتأكيد على أن العاقبة لهم ، وأن في هذا الدين وهذا القرآن الرفعة والعلو في الدارين، و نلحظ هذا من أولها: ﴿ طه ۝١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ۝٤ ﴾ (طه 1-4).

ولقد أتت قصة موسى (عليه السلام) في هذه السورة بما يناسب هذا السياق، فقد قصت علينا لطف الله بعبده موسى في مبدأ الوحي، وتكريمه له بالتكليم في الواد المقدس، ونبينا (ص) قد أكرم بنزول الوحي عليه، وفي هذا من اللطف والعناية ما هو ظاهر.

- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢ ﴾ (طه 10-12).

وقال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗاۖ سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩ ﴾ (النمل 7-9).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠ ﴾ (القصص 29- 30).

[1] - عمر بن علي بن عادل الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب، تح، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1 ، 1419هـ ، ج13، ص168.

الموضع الأول: في طه: ﴿إِذ رَءَا نَارًا﴾ ، وفي القصص: ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾، وخلت النمل من ذلك.

قال ابن عطية: " ﴿ءَانَسْتُ﴾ معناه أحسست ...والنار على البعد لا تحس إلا بالإبصار; فلذلك فسر بعضهم اللفظ برأيت، وآنس أعم من رأى، لأنك تقول آنست من فلان خيرا أو شرا".[1]

لقد كانت آية طه افتتاح قصة موسى في السورة، وكان قبلها قوله تعالى: ﴿ **وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ** ۝ ﴾ (طه9) فلم يكن قبل هذه الآية ذكر لأحوال موسى وأصحابه والتلطف بهم في أوقات اشتداد الأمر عليهم.

قال الزمخشري: " قفاه بقصة موسى (عليه السلام) ليتأسى به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مقاساة الشدائد". [2]

فكان قوله: ﴿إِذ رَءَا نَارًا﴾ في طه بداية لقص القصة، لم يكن منظورا فيها لحال موسى (عليه السلام) قبل ذلك، فليست السورة تسجل هذا إلا أن موسى أبصر ورأى نارا فكان المقصود بدء الأمر لا حال موسى (عليه السلام).

وأما قوله: ﴿ءَانَسَ﴾ فإنه إبصار خاص مقيد يبين حال موسى وذلك أن سورة القصص كانت تقص قصة موسى من ولادته، وتبين حسن تدبير الله وتلطفه به، فتبين من دقائق أموره ما فيه العبرة والعظة، وقد كان حاله لما رأى النار حال المستأنس بها ولو كان خائفا وجلا منها لما أتاها، قال ابن كثير: " قال لأهله يبشرهم: ﴿إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا﴾ ". [3]

ولهذا فقد اتفقت السور الثلاث على هذه الجملة من قول موسى وأما النمل فلم تذكر الزيادة من رؤيته النار بل بدأ الخبر بقول موسى (عليه السلام): ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾، لأن النمل كانت تقص القصة مبينة الخبر في بلاغته وحسن بيانه، غير ناظرة إلى تفاصيل حال موسى مع أهله إنما قاصدة حالة في تلقي الوحي.

الموضع الثاني: في طه والقصص: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ زيادة عما في النمل.

---

[1] - أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح ، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1413هـ ، ج4، ص38.

[2] - الكشاف، ج3 ،ص51 .

[3] - تفسير ابن كثير، ج5، ص276.

إن زيادة قوله: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ في طه والقصص زيادة وصف لحال موسى (عليه السلام) فهي تبين أنه حين آنس النار طلب من أهله أن ينتظروه حتى يرجع إليهم فقال لهم: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ ، ولم يقل أقيموا لأن الإقامة تقتضي الدوام والمكث ليس كذلك ". [1]

وبهذا فهو يطمئنكم وكأنه يقول لن ألبث عنكم إلا يسيرا، هذا في طه والقصص أما النمل فكان الغرض يتم من غير هذه الزيادة.

الموضع الثالث: في طه والقصص: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ ، وفي النمل: ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾.

قال الزمخشري: " فإن قلت: سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين ; لأن أحدها ترج والآخر تيقن ، قلت: قد يقول الراجي إذا قوي رجاؤه سأفعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة ". [2]

فسبب اختصاص طه والقصص بالرجاء ﴿لَّعَلِّي﴾ ، هو الوصف الدقيق لما كان يختلج في قلب موسى (عليه السلام) ، وتفصيل حاله، وذلك أن الرجاء يبين عزم موسى الذي عزمه، ويبين حال ترقبه ورجائه وحرصه على أهله في حصول المطلوب لهم وفي ذلك من تعلقه بربه، ولطف الله به ما هو ظاهر من سياق السورتين.

وأما سورة النمل فإن الغرض فيها الخبر المجمل، فاقتصر فيه على ما يبينه وهو عزم موسى على إحضار الخبر وإحضار الشهاب القبس.

الموضع الرابع: قدم في طه ذكر طلب موسى للقبس على الخبر، وفي القصص والنمل العكس.

الموضع الخامس: في النمل زيادة: ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم﴾.

الموضع السادس: في طه: ﴿بِقَبَسٍ﴾ ، وفي النمل ﴿بِشِهَابٖ قَبَسٍ﴾ ، وفي القصص: ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

قال ابن الجوزي: " فأما القبس، فقال الزجاج: هو ما أخذته من النار في رأس عود أو في رأس فتيلة ". [3]

وقال ابن منظور: " وروى الأزهري عن ابن السكيت، قال: الشهاب: العود الذي فيه نار، قال وقال أبو الهيثم: الشهاب أصل خشبة أو عود فيها نار ساطعة، ويقال للكوكب الذي ينقض على أثر الشيطان بالليل ". [4]

---

1 - الجامع لأحكام القرآن، ج 11 ، ص115.
2 - الكشاف، ج3، ص338.
3 - زاد المسير، ج5 ، ص272.
4 - لسان العرب، ج1، ص510.

أما الجذوة فقال ابن جرير: " ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾، يقول أو آتيكم بقطعة غليظة من الحطب فيها النار ". [1]

ومن هنا يظهر أنه في طه أتى بالاسم العام لكل مقبوس من النار، فليس فيه بيان لنوعه، أما الشهاب الذي في سورة النمل ففيه تحديد هذا القبس فهو مضيء ذو شعلة.

أما الجذوة فهي أكثر من القبس، فهي نار يستدفأ بها، وهذا من أصلها اللغوي الذي فيه معنى الغلظ.

الموضع السابع: في النمل والقصص زيادة: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ وليست في طه.

من المواضع الأربع السابقة:

ففي سورة طه فإنه لم يعد أهله إلا وعدا واحدا وهو أن يحضر لهم قبسا ولهذا قدمه كما في الموضع الرابع، لأنه كان يخاطبهم ثم أنشأ خبرا آخر، وهو فيه يتحدث عن نفسه وما يرجوه لها، قال تعالى: ﴿إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ۝١٠﴾ (طه10).

وأما سبب اختلاف طه عن القصص والنمل فهو أن سياق طه من قوله تعالى مخبرا عن نبيه موسى (عليه السلام): ﴿أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾، ومناسبة ذلك لما بنيت عليه سورة طه من تأنيس نبينا (ص) وافتتاحها بقوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ (طه2) ، يلح لك التلاؤم والتناسب ". [2]

أما النمل فإنها قدمت تطلب الخبر لأنه الأهم في سياقها، فذكرت حاله مع أهله ما هو مقدمة لذهابه للمناداة.

وأما ما تميزت به النمل من إعادة الفعل: ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ فهو مؤكد لكون ما في النمل هو خبر من موسى (عليه السلام) عما في عزمه ونيته وذلك أن إعادة الفعل تأكيد للطلب.

وأما سورة القصص فقد قدم فيها ذكر طلب الخبر; لأنه الأهم له ولأهله، والسورة تبين تفاصيل حالهم، ولهذا خلت من زيادة النمل: ﴿أَوۡ ءَاتِيكُم﴾; لأن العطف فيها وقع على فعل الرجاء ن ولو أعيد الفعل ناقض ذلك معنى الرجاء.

أما ما تميزت به القصص من قوله: ﴿أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ ، فكأن هذا إخبار عن غاية ما يريد موسى (عليه السلام) لأهله، وهو إحضاره نارا بين أيديهم، من شجر غليظ له جمر يبقى

---

[1] - جامع البيان، ج18 ، ص239.
[2] - ملاك التأويل، ج2، ص813.

مدة على ما يعطيه من الجذوة، والقصص تفصل أحوال موسى بما يظهر فيها من التلطف الرباني به وبالمستضعفين من المؤمنين.

الموضع الثامن: في طه: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ۝١٢﴾ (طه 11-12).

وفي النمل: ﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٨ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٩﴾ (النمل 8-9).

وفي القصص: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٣٠﴾ (القصص 30).

قال الراغب: " الإتيان: مجئ بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتي و أتاوي".[1]

وقال الراغب أيضا.: " جاء.: جاء يجيء جيئة ومجيئا. والمجيء كالإتيان لكن المجيء أعم; لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول ". [2]

لقد اختصت سورتا طه والقصص بلفظ وهو المجيء بسهولة، وقد كان هذا اللفظ هو المناسب لهاتين السورتين، وذلك أنه يصف لنا حال موسى (عليه السلام) وهو يقترب من النار، و كيف كان يمشي مترقبا على مهله لأنه كان يأتي إلى مكان لا يدري ما وراءه وفي ليل مظلم، وطه كانت تبين حاله وهو يتلقى الرسالة، وأما القصص تفصل حاله وهذا من سياقها.

وأما النمل فلما كانت تبين الخبر بإجماله، فإنها جاءت باللفظ العام الذي يبين الخير كيف وقع، وليس لها غرض في بيان حال موسى (عليه السلام) كيف يكون، بالتفصيل.

أما عن اختلاف النداء في السور الثلاث، فمن خلال سياق سورة طه التي بينت جلالة أمر الرسالة، وعظيم شأنها، حين أمره ربه بخلع نعليه، واخبره بأنه أختاره فحمله تكاليف هذا الأمر، ولهذا فقد ناداه وأضاف ربوبيته إليه، وفي هذا تلطف ظاهر وهو تكليف كذلك، وحال النبي (ص) مثل هذا، بل والتكليف بحقه (ص) أعظم.

وأما النمل فقد كان النداء فيها شاملا مجملا قد عم في ذكر البركة كل من عمته، وهم موسى (عليه السلام) والملائكة والبقعة وأخبر عن نفسه سبحانه بأنه المستحق للعبودية وحده كما يفيده لفظ الجلالة، واخبر أيضا باسمين عظيمين شاملين لجميع خلقه ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ، فكان ذلك كالتهيئة لأمر الرسالة حين أمره بعد هذا النداء بان يلقي عصاه فلم يكن النظر إلى تفصيل حال موسى وهذا سياق النمل.

---

[1] - مفردات ألفاظ القرآن، ص60.
[2] - مفردات ألفاظ القرآن، ص212.

أما القصص فكانت تقص القصة بالتفصيل ، ولهذا فقد فصلت مجيء موسى (عليه السلام) إلى النار، وفصلت تحديد مكانه، ومن أين نودي ؟ ثم ما ناداه به ربه من النداء في قوله: ﴿يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، فقد ناداه بالربوبية العامة للخلق ، ليبين له من الذي يناديه، وما حقيقة ما هو مقدم عليه; ولأن: " وصف ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ يدل على أن جميع الخلائق مسخرة له ليثبت بذلك قلب موسى (عليه السلام) من هول تلقي الرسالة. [1]

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ (طه22).

وقال تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ (النمل 12).

وقال تعالى: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (القصص 32).

الموضع الأول: في طه: ﴿وَٱضۡمُم يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾ وفي النمل: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ ﴾، وفي القصص: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ ﴾.

الموضع الثاني: في القصص زيادة: ﴿وَٱضۡمُم إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ ﴾.

الموضع الثالث: في طه والنمل سماها آية فقال في طه: ﴿ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴾.

وقال في النمل: ﴿فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ ﴾، وفي القصص سماها برهان: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ ﴾.

الموضع الرابع: في النمل: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓ ﴾، وفي القصص: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾.

قال الراغب الأصفهاني: " ضم: الضم: الجمع بين الشيئين فصاعدا قال: ﴿وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ﴾، ﴿وَٱضۡمُم إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ ﴾، و الإضمامة جماعة من الناس أو من الكتب أو الريحان أو نحو ذلك، وأسد ضمضم وضماضم: يضم الشيء إلى نفسه، وقيل: بل هو المجتمع

[1] - التحرير والتنوير، ج10، ص112 بتصرف.

الخلق، وفرس سباق الأضماميم: إذا سبق جماعة من الأفراس دفعة واحدة " [1].

وأما ﴿ٱسۡلُكۡ﴾ فقال ابن فارس: " سلك: السين واللام والكاف أصل يدل على نفوذ شيء في شيء... و المسكلة: طرة تشق من ناحية الثوب، وإنما سميت بذلك لامتدادها ن وهي كالسلك" [2].

أما الجناح فقد قال النحاس: " ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾... حكى أكثر أهل اللغة أن الجناح من أسفل العضد إلى آخر الإبط، وربما قيل لليد جناح، ولهذا قال أبو عبيدة: ﴿جَنَاحَكَ﴾ أي يدك ".[3].

أما الجيب فهو موضع القطع من الدرع والقميص [4].

ومن المواضع الأربع الأخيرة؛ كانت طه تبين حال موسى (عليه السلام)بالنظر لتلقيه للوحي، وتبين لطف الله به، وتؤنس النبي (ص) وتخفف عليه أمر القرآن.

وقد أظهر أمر التلطف في بدء الرسالة، فقد بعثه الله بآيتين هما العصا واليد، كما أنه في النمل والقصص قد بين حال موسى حين شاهد العصا التي وصفها بوصف الجان وذكر هرب موسى، ولم يذكر ذلك في طه بل اقتصر على وصف العصا على ما فيها من آية وهو الحياة، ولم يكن منظورا هنا إلى حال فرعون وقومه كما في النمل ولا إلى حال موسى بما كان يحاذره من فرعون وملئه كما هو الشأن في القصص، ولهذا السبب فقد خلت طه من زيادة القصص كما في الموضع الثاني.

وقد خلت طه من الزيادة التي زادتها النمل والقصص في الموضع الرابع وهذه الزيادة هي في النمل قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾، فكانت هذه الزيادة في النمل من أجل الإجمال، وأما في القصص فمن أجل تبيين حال المستضعفين وحسن تدبير الله لهم.

أما النمل فقد ورد فيها الأمر بقوله تعالى: ﴿وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ﴾ بلفظ الإدخال، واليد بعد دخولها الجيب تكون تحت الإبط، وعليه فإن الأمر في النمل في بدايته والأمر هنا ظاهر حيث تخرج اليد بيضاء وهذا ما يظهر لفرعون وملئه من هذه الآية.

أما خلو النمل من الزيادة التي تميزت بها القصص كما في الموضع الثاني، فإن تلك الزيادة كانت تعالج شأن إزالة الرهب عن موسى، وهذا ما لم تعن به النمل لأن سياقها سياق إجمال، ولهذا فقد أجمل ذكر الآيات التسع التي بعث بها موسى.

كما في الموضع الثالث من هذا المقطع.

1- مفرادات ألفاظ القرآن، ص512 .
2- معجم مقاييس اللغة، ص490 .
3- معاني القرآن، أبو جعفر النحاس، تح، محمد على الصابوني، ط1، جامعة أم القرىمكة المكرمة،1409 هـ،ج5، ص178 .
4- ينظر معجم مقاييس اللغة، ص231 .

أما في القصص فلم يكن المقصود من قص الخبر إظهار الآية لموسى (عليه السلام) وحده، كما هو الشأن في طه، بل كان ينظر فيها لحال فرعون وملئه كذلك، لما كان موسى يحاذره منهم والسورة كانت تعالج ذلك فذكرت اللفظ الذي يبين الآية لفرعون وملئه، وهو لفظ ﴿ٱسۡلُكۡ﴾ لأنه يبين دخول اليد في الجيب كما يراها فرعون وملؤه، فجعلها آية بعد أن تسلك في الجيب، ويعد ضم الجناح من الرهب، وفي هذا تطمين لموسى (عليه السلام) فكانت بهذا آية وتفتيرا لخوفه ولم يكن لفظ ﴿وَأَدۡخِلۡ﴾ ليبين هذا.

وأما خوف موسى من العصا فقد قال فيه ابن كثير: " وقوله تعالى: ﴿وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِ﴾ قال مجاهد: من الفزع، وقال قتادة: من الرعب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وابن جرير: مما حصل لك من خوفك من الحية، والظاهر أن المراد أعم من هذا، وهو يده فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف " [1] ويؤيد ذلك انه سبحانه عقب بعد أن ذكر آيتي اليد والعصا، بقوله لموسى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾، والبرهانان " حجتان نيرتان، وبرهانان: فعلان لقولهم ابره الرجل إذا جاء بالبرهان، من قولهم بره الرجل إذا ابيض، ويقال للمرأة البيضاء برهاء وبرهرهة". [2]

فالمقصود هنا رعاية حال موسى فيما يحاذره من فرعون، فمع تطمينه بضم جناحه إليه حال الخوف، كان هذا تطمينا له من الله بأن اليد والعصا حجتان تقطعان كل عذر لفرعون وملئه فلا تخف.

ولهذا قال في القصص: ﴿إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ﴾، فخص الملأ هنا، لأنهم هم الذين كان موسى يحاذرهم مع فرعون، لا القوم الذين هم تبع لفرعون وملئه والسورة تفصل أحوال موسى.

- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ۝٣٧ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ۝٣٨ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ فَلۡيُلۡقِهِ ٱلۡيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأۡخُذۡهُ عَدُوّٞ لِّي وَعَدُوّٞ لَّهُۥۚ وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰٓ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾ (طه 37-39)

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٧﴾ (القصص 7).

1- تفسير ابن كثير، ج6، ص235.
2- إرشاد العقل السليم، ج7، ص12- 13.

الموضع الأول: في طه الآيات على أسلوب الخطاب، وفي القصص على الغيبة.

الموضع الثاني: في طه ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ﴾، وفي القصص ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾.

الموضع الثالث: في طه ﴿إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾، وفي القصص ﴿إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾.

أما الأسلوب الخطاب في طه فهو في سياق المنة على موسى (عليه السلام) منذ ولادته، وتكليمه من الله وكذا استجابة دعائه بأن شرح صدره ويسر أمره وجعل له وزيرا من أهله.

قال ابن عطية: " وقوله: ﴿مَا يُوحَىٰٓ﴾ إبهام يتضمن عظم الأمر، وجلالته في النعم، وهذا نحو قوله تعالى: ﴿إِذ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾ (النجم 16)، وهو كثير في القرآن والكلام"[1]، والسورة تقص من نبأ موسى (عليه السلام) ما هو محل العبرة، وهذا هو محل العبرة الموافق لسياقها كما هو معلوم [2].

أما القصص فقد كانت القصة فيها تساق خبرا مفصلا لأحوال موسى من لدن ولادته، وما يظهر في ذلك من حسن تدبير الله ورعايته له وللمستضعفين من المؤمنين.

قال ابن عاشور: " ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ﴾، عطف جملة: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ (القصص5)، إذا الكل من أجزاء النبأ. وتتضمن هذه الجملة تفصيلا لمجمل قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ فإن الإرادة لما تعلقت بإنقاذ بني إسرائيل من الذل خلق الله المنقذ لهم "[3].

ثم استمرت القصة تسوق من نبئه حتى استنقذ الله به (عليه السلام) بني إسرائيل.

الموضع الرابع: في طه: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾، وفي القصص: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾.

قال صاحب أضواء البيان: " و﴿أَن﴾ في قوله ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ هي المفسرة؛ لأن الإيحاء فيه معنى القول دون حروفه. .. والتابوت: الصندوق، واليم: البحر، والساحل شاطىء البحر، والبحر المذكور: نيل مصر... والضمير في قوله: ﴿أَنِ ٱقْذِفِيهِ﴾ راجع إلى موسى بلا خلاف، وأما الضمير في قوله: ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾، فقيل راجع إلى التابوت، والصواب رجوعه إلى موسى في داخل التابوت؛ لأن تفريق الضمائر غير حسن"[4].

1- المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4 ، ص44.
2- ينظر التحرير والتنوير، ج16، ص215 .
3- التحرير والتنوير، ج20، ص83 .
4- أضواء البيان، ج4، ص439 .

أما القذف فقد قال الراغب في معناه: " قذف، القذف: الرمي البعيد، والاعتبار البعد فيه قيل: منزل قذف وقذيف، وبلدة قذوف بعيدة، وقوله ﴿فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ﴾، أي: اطرحيه فيه " [1].

لقد كانت سورة طه تذكر منة الله على موسى في ولادته ونشأته، ولهذا فالله تعالى يبين له بعد الإجمال يبين له التفاصيل؛ أي كيف أوحى إلى أمه أن تقذفه في تابوت وبهذا يكون التابوت منة، ونجاته إلى الشاطئ منة أخرى، وهذا سر الزيادة في طه في هذا الموضع.

أما القصص فإنها كانت منذ البدء تقص الخبر بالتفصيل، وفي ذكر هذه الأحوال المفصلة ما يبين حسن تدبير المولى، ولهذا بدأت بذكر الإرضاع الذي سيكون سببا لرده إلى أمه حين حرم الله عليه المراضع.

قال ابن جرير: " وقوله: ﴿إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، يقول: إنا رادو ولدك إليك للرضاع، لتكوني أنت ترضعينه، وباعثوه رسولا إلى من تخافينه عليه أن يقتله. وفعل الله ذلك بها وبه ". [2]

ولم يكن لذكر تفاصيل وضعه في التابوت غرض، لأنه كان وسيلة والغرض ذكر أحوال هذه الأم الملهوفة وكذا ذكر الإلقاء والطرح في اليم وهو أمر صعب لا يكون إلا بتدبير الله عز وجل، ولهذا – ربما – لم يذكر التابوت أصلا في القصص، وإنما كان التركيز على تأنيس أم موسى وكيف أن الله سوف يرده لها.

الموضع الخامس: في طه: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾، وفي القصص: ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

لقد جاءت هذه الجملة التي تميزت بها طه، وهي قوله تعالى: ﴿فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ﴾.تبين منة أخرى يمن بها الله على كليمه، غير ما سبق من احتيال أمه في إخفائه، وهو تتمة ما أراد الله أن يجريه بما قضى من قدره، وهو أن يلقى هذا الغلام بالساحل ولم يقل يقذفه اليم بالساحل، فالقذف فيه شدة وبعد، بل كان طرحا سهلا، وقدر الله أن يأخذه عدو الله وعدوه، الذي يعرفه وقد تربى في بيته، وقد ألقى الله محبة موسى كانت سببا في أن يدعه المجرمون فلا يقتلوه، وبهذا يتم الامتنان على موسى (عليه السلام) و كل هذا ظاهر في سياق سورة طه.

1 - مفردات ألفاظ القرآن، ص 661.
2 - جامع البيان، ج18، ص158.

وأما القصص فكان تعقيبها مناسبا لسياقها؛ فإن تمام ألطاف المولى وحسن تدبيره أن أوحى إلى أم موسى وثبتها، والعطب إن أتاها فلا يأتيها إلا من أحد أمرين.

الأول: الخوف على هذا الرضيع من الغرق أو من فرعون أو من الضياع.[1]

الثاني: الحزن لفراقه.

فثبتها الله ومنع عنها هاتين الآفتين، ثم بشرها ببشارتين: أنه راده إليها ليرضع منها، والثانية أنه جاعل له شأنا حين يجعله رسولا، كل هذه الأمور يهيئها الله حتى يبين لنا حسن تدبيره في تخليص المستضعفين.

- المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَمْشِيٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ (طه 40).

وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾ (القصص 13).

الموضع الأول: في طه: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ﴾، وفي القصص: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ﴾.

الموضع الثاني: في القصص زيادة ﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

قال ابن فارس: " رجع: الراء والجيم والعين أصل كبير مطرد منقاس يدل على رد وتكرار " [2].

أما الرد فقال الراغب: "الرد صرف الشيء بذاته أوبحالة من أحوال يقال: رددته فارتد" [3].

لقد كانت طه في سياق الامتنان على موسى (عليه السلام) ، وتميز طه بلفظ الرجوع هو من هذا الشأن وذلك أن آل فرعون لما عثروا على هذه المرضع التي قبل الطفل ثديها فإنهم سيستأجرونها لرضاعه، والطفل في تلك المدة سيكون بين بيت آل فرعون وبيت المرضع، فكان الله يمتن عليه بهذا فضلا عن العودة الأولى وهذا من صميم سياق سورة طه.

---

1 - ينظر جامع البيان، ج18، ص158.
2 - معجم مقايس اللغة، ص441.
3 - مفرادات ألفاظ القرآن، ص348 .

أما القصص فإنها تقص القصة بالتفصيل وكانت تصف حال أم موسى وما نابها من الحزن على ابنها فقد: " قدر الله ابنها، على وجه تطمئن به نفسها، وتقر به عينها، وتزداد به غبطة وسرورا " [1] فموسى لن يعود إلى أمه عودا كاملا لكنها بعد الذي رأته من شدة الحزن كان هذا هو غاية المنى لها، والآيات تصف عودة الابن أول مرة فكان لفظ الرد ـ وهو الأعم ـ هو الأنسب في هذا الموضع وكذا لما يقتضيه سياق سورة القصص.

- المقطع الخامس:

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦ فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡ ۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٤٧﴾ (طه 46-47).

وقال تعالى: ﴿قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ۝١٥ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٦﴾ (الشعراء).

الموضع الأول: في طه ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ﴾، وفي الشعراء: ﴿إِنَّا مَعَكُم﴾.

قال ابن تيمية عن معية الله سبحانه لخلقه، إنه سبحانه: " فوق سماواته على عرشه، على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا: يعلم ما هم عاملون" (2).

قال ابن جرير: " ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾من قوم فرعون ما يقولون لكم، ويجيبونكم به".(3)

ومنهم من يجعل المعية هنا معية عامة، لأن المعية أسندت لضمير الجمع، فيكون فرعون معهم، فلا تدل على النصر والتأييد، لأن ذلك لا يكون لكافر.[4]

وقال صاحب أضواء البيان: " صيغة الجمع في قوله: ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ﴾ للتعظيم، وما ذكره جل وعلا في هذه الآية من رده على موسى (عليه السلام) خوفه القتل من فرعون وقومه، بحرف الزجر "كلا"، وأمره أن يذهب هو وأخوه بآياته مبينا لهما أن الله معهم: أي وهي معية خاصة بالنصر والتأييد، وأنه مستمع لكل ما يقوله لهم فرعون...". [5]

---

1 - تيسير الكريم الرحمن، ص568.
2 - مجموع فتاوى ابن تيمية، ج3 ، ص124.
3 - جامع البيان، ج17، ص554.
4 - ينظر معاني القرآن، ج5، ص67.
5 - أضواء البيان، ج6، ص369.

لقد كان سياق طه في بيان ما من به الله على موسى، وأخيه هرون (عليهما السلام) من اللطف، فكان المناسب لهذا نداؤه لهما بضمير المتكلم: ﴿إِنَّنِي﴾، ثم بإضافة معيته الخاصة لهما، التي تكشف من نصره وتأييده ولطفه بهما.

أما سورة الشعراء فكان المقصود فيها أمر الرسالة، وبيان ما يلزم أنبياءه بشأنها، فقد جاء الضمير بصيغة الجمع تعظيما لأمر الرسالة، وأضيفت معيته سبحانه لضمير الجمع الذي يبين معينه العامة للمرسل به والمرسل إليهم، وهذا من سياق هذه السورة.

الموضع الثاني: في طه: ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾، وفي الشعراء: ﴿مُّسۡتَمِعُونَ﴾.

قال ابن القيم: " وهو أن حركة اللسان بالكلام أعظم حركات الجوارح، وأشدها تأثيرا في الخير والشر، والصلاح والفساد، بل عامة ما يترتب في الوجود من الأفعال، إنما ينشأبعد حركة اللسان، فكان تقديم الصفة المتعلقة به أهم وأولى "[1]

لقد أثبت الله سمعه ورؤيته في سورة طه بصيغة الفعل المضارع، فقوله سبحانه: " ﴿أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ﴾: جملة استئنافية لبيان مقتضى هذه المعية الخاصة، وهو السمع والرؤية، وهذا سمع ورؤية خاصان يقتضيان النصر والتأييد والحماية من فرعون" [2]

ولما كان من سياق سورة طه اللطف والتأنيس للنبيين الكريمين، ذكر الله معيته الخاصة لهما بما يشمل إحاطته سبحانه لجميع أحوالهما مع فرعون، وفرعون سيقابلهما بالقول والفعل، والقول متعلق بالسمع والفعل متعلق بالرؤية، وقد يكون هذا سر ذكر الرؤية في سورة طه.

وأما سورة الشعراء، فإنه لما كان السياق فيها في شأن الرسالة، وشأن الرسول حيالها، فقد ذكر فيها المعية العامة، ومقتضاها صفة السمع التي تتعلق بقول المدعو وما يتكلم به من التصديق أو التكذيب، لهذا جاءت صيغة الاسم التي تدل على الدوام والثبوت، ومعية الله معية ذاتية ثابته لم يزل ولا يزال منصفا بها.

الموضع الثالث: في طه: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾،وفي الشعراء: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

قال الزمخشري: " فإن قلت هلا ثنى الرسول كما ثني في قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾، قلت: الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة، فجعل ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنية، وجعل ههنا بمعنى الرسالة فجاز التسويه فيه–إذا وصف به – بين الواحد والتثنية والجمع كما يفعل بالصفة بالمصادر" [3].

---

[1] - بدائع الفوائد، ج1، ص130.
[2] - محمد الصالح العثيمين، شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط2، 1415هـ، ج1، ص414.
[3] - الكشاف، ج3، ص295-296.

إن لفظ التثنية في طه ظاهر في بيان اللطف بالنبيين (عليهما السلام)، وذلك بظهور المؤازرة لبعضها في مقابلة الطاغية، وقد كان إرسال هارون في طه بطلب من موسى: ﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ۝٢٩﴾(طه29).

أما الشعراء فإنها كانت تعالج حرص نبينا (ص) على أمر الرسالة، حتى لا يلحقه فيه الحرج والضيق، فكانت تقص قصصا لقوم مهلكين كانت رسلهم حريصة على هدايتهم، وعليهم فقد كان أمر الرسالة في الشعراء ملحوظا، وقد علل موسى (عليه السلام) طلبه من ربه مؤازرة هارون بخوفه من التكذيب في رسالته.

الموضع الرابع: في طه أضاف الربوبية بضمير المخاطب: ﴿رَبِّكَ﴾،وفي الشعراء أضافها للعالمين: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وناسب ما بينت عليه سورة طه من تأنيس نبينا(ص)، وتأنيس موسى كليمه...فلما كان بناء هذه السورة بجملتها على التلطف والتأنيس ناسب ذلك ماأمر به موسى (عليه السلام) من دعاء فرعون آنسه وألطفه، وأمر موسى (عليه السلام)، وأخوه هرون (عليه السلام) بذلك فقيل لهما: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾ وجرى على ذلك قوله: ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾، فأشعرت هذه الإضافة بالتلطف الرباني، ولما لم تكن سورة الشعراء مبينة على ما ذكر، وإنما تضمنت تعنيف فرعون وملئه وإغراقهم وأخذ المكذبين للرسل بتكذيبهم، وهذا في طرف من التلطف، ورد فيها: ﴿فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، بإضافة اسمه سبحانه إلى العالمين ليحصل منه أنه مالك الكل وأنهم تحت قهره تعالى وفي قبضته"[1]

- المقطع السادس:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ ۝٧٧﴾ (طه77).

وقال تعالى: ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢ ﴾ (الشعراء52).

وقال تعالى: ﴿ فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٢٣ ﴾ (الدخان23).

الموضع الأول:في الدخان زيادة: ﴿ لَيۡلا﴾.

الموضع الثاني: اختلاف التذييل ففي طه: ﴿فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ﴾، أما في الشعراء والدخان فكان التذييل ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴾.

[1]- ملاك التأويل، ج2، ص822 -823.

قال الراغب: " سرى: السري: سير الليل، يقال: سرى و أسرى، قال تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ (هود81، الحجر65)، وقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِيَ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ (الإسراء1)."[1]

وعن زيادة ﴿لَيْلًا﴾ في الدخان قال ابن عاشور: "وفائدة التاكيد أن يكون له من الوقت سعة مايبلغون به شاطئ البحر الأحمر قبل أن يدركهم فرعون بجنوده".[2]

ولما كان موضوع قصة بني إسرائيل في الدخان الهجرة كما في سياق السورة، لهذا اختصت بما يبين مزيدا من شأن الهجرة، فقد ظهر في هذه السورة حرص نبي بني اسرائيل(عليه السلام) على الخروج بقومه من قهر الظالمين وتضرعه ودعائه﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ (الدخان 22-23)، وحرصه هذا ودعاؤه يبين ماهم فيه من شدة الطلب وما نابهم نت الضيق، ولهذا كان التعقيب فيها: ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾، ولهذا قد أظهر الله في هذه السورة مزيد عناية بأمر الهجرة، وذلك حين أمر نبيه بأخذ الحيطة والخذر فينطلق تحت جنح الظلام سترا له ولمن تبعون.

وفي سورة الدخان – كما يبدو من سياقها – إرهاص للهجرة النبوية الكريمة، وفي هذا توجيه للمؤمنين بأن يأخذوا الاستعداد والأهبة.

وأما سورة طه فكان سياقها ما هو معلوم من التلطف والترفق، ولهذا فقد كانت تظهر دائما التطمين والتلطف لموسى(عليه السلام) من أجل ذلك لم تأت هذه الزيادة ويؤكد ذلك ما ذيلت بها الآية من بالغ التطمين: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾.

أما الشعراء فكانت تظهر المغالبة مع فرعون والملأ بالتفصيل، وكانت تظهر عناية موسى بأمر ربه، ومقارعته لأهل الباطل، وتظهر شدة اهل الباطل وقوة معارضتهم، لهذا كان فيها من التعقيب كالذي في الدخان ﴿إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾، وأعلم موسى (عليه السلام) بأمر الاتباع لأن: " القصد من إعلامه بذلك تشجيعه"[3] موسى (عليه السلام) بقومه لأنه ليس سياقها، ولهذا لم يكن فيها زيادة: ﴿لَيْلًا﴾، بل قد أظهرت السورة وثوقه واطمئنانه عندما تراءى الجمعان: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾﴾ (الشعراء61-62).

---

1 - مفردات ألفاظ القرآن، ص408.
2 - التحرير والتنوير، ج25، ص299.
3 - التحرير والتنوير، ج19، ص129.

وهذه السياقات المختلفة بين السور ليس معناها أن موسى (عليه السلام) كانت له أحوال مختلفة متضادة، بل المعنى أن الله سبحانه يظهر من أحواله في كل سياق ما هو محل العبـــرة والعظة.

سورة الشعراء

قال ابن تيمية: " جميع آل حم مكيات، وكذلك آل طس"[1]

وقال صاحب أضواء البيان: " أما القول الذي يدل استقراء القرآن على رجحانه، فهو أن الحروف المقطعة ذكرت في أوائل السور التي ذكرت فيها بيانا لإعجاز القـــرآن، وأن الخلـــق عاجزون عن معارضته بمثله، مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بهـــا، وحكى هذا القول الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين، وحكاه القرطبي عن الفراء وقطرب، ونصره الزمخشري في الكشاف.

ووجه شهادة استقراء القرآن لهذا القول: أن السور التي افتتحت بالحروف المقطعة يذكر فيها دائما عقب الحروف المقطعة الانتصار للقرآن، وبيان إعجازه، وأنه الحق الذي لا شك فيه، وذكر ذلك بعدها دائما دليل استقرائي على أن الحروف المقطعة قصد بها إظهار إعجاز القرآن وانه حق.[2]

وقد كان مضمون سورة الشعراء دفع الحزن الذي يجده النبي (ص) في إعراض قومـــه عن القرآن والدين، وذلك ببيان مهمته (ص) في هذا الأمر، وأنها الإبلاغ، وأما الهداية فمن الله سبحانه، فقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣﴾ (الشعراء3)، والتعبيـــر وبالبخع يبين قدر ما كان النبي(ص) يجده من إعراض قومه.

قال الزمخشري: " البخع: أن يبلغ بالذبح البخاع بالباء، وهو عرق مستبطن الفقـــار، وذلك أقصى حد الذبح".[3]

ثم شرع الله يقص على نبيه (ص) قصص قوم مكذبين لم ينشأ سبحانه هدايتهم، وبـــدأ فيها قصة موسى من مبدأ الوحي، وذكر فيها شدة و عتاوة فرعون في الإعراض عن الحق، كما ذكر حرص موسى على هدايته، وتستمر القصة حتى تنتهي بالغرق.

وقد سبق ما التقى من هذه السورة بما قبلها في خمسة مواضع تعرض إليها هذا البحـــث أما ما التقى بما بعدها فسندرسه في حينه.

---

[1] - منهاج السنة النبوية، ج7،ص99.
[2] - أضواء البيان، ج3، ص5.
[3] - الكشاف، ج3، ص290.

- المقطع الأول:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدۡرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرۡسِلۡ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ (الشعراء12-14).

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلۡتُ مِنۡهُمۡ نَفۡسٗا فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفۡصَحُ مِنِّي لِسَانٗا فَأَرۡسِلۡهُ مَعِيَ رِدۡءٗا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾﴾ (القصص 33-34).

موضع واحد: وهو أنه قدم في الشعراء ذكر خوفه من التكذيب على خوفه من القتل، وفي القصص العكس.

إن قاعدة التقديم عند أهل البلاغة: هي تقديم ما العناية به أشد وقد قدم في الشعراء خوفه من التكذيب، لأن سياق السورة يظهر اهتمام موسى (عليه السلام) بأمر الرسالة، وتبليغ ما أمره الله به، ولهذا قدم على ذكر الخوف من القتل.

وأما سورة القصص فكانت تقص قصته بالتفصيل، وكانت تظهر أحوال موسى (عليه السلام) منذ ولد، وما اكتنفه من صعوبات ومشاق، وهي في كل ذلك تبين حسن تدبير الله له، ومن هذا أن الله حين أمره بالذهاب إلى فرعون، أبدى موسى حذره من أمرين ن فقدمت السورة ما يتعلق بذاته على ما يتعلق بالرسالة، لأنها كانت تبين حسن إحاطة الله له في كل أحواله. والله أعلم.

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ أَلَا تَسۡتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (**الشعراء25**).

وقال تعالى: ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ (**الشعراء34**).

الموضع الأول: في الآية25 ﴿قَالَ لِمَنۡ حَوۡلَهُۥٓ﴾ وفي الآية 34 ﴿قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ﴾.

الموضع الثاني: في الآية 25 قال فرعون: ﴿أَلَا تَسۡتَمِعُونَ﴾، وفي الآية 34 كان قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ﴾.

إن الآية الأولى كانت خطابا من فرعون لمن حوله، وذلك أول ما جاءه موسى (عليه السلام) بالدعوة، قد يكون عند فرعون في ذلك الوقت الملأ أو بعضهم.

قال الزمخشري: " فإن قلت: ومن كان حوله قلت: أشراف قومه... وكانت للملوك خاصة"[1] فخطابه في الموضع الأول كان خطابا لمن حضر، ولهذا فإنه لما دعاه موسى إلى

[1] - الكشاف، ج3، ص299.

عبادة رب العالمين سأل فرعون سؤال جحد واستكبار: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (الشعراء23).

فلما استمرت مناظرة موسى (عليه السلام) لفرعون وبين له الآيات البينات، فأظهر له آية العصا واليد، هنا فزع فرعون إلى الملأ، لأن هذا الأمر قد همهم، فأراد أن يصدر فيه برأي ومشورة هؤلاء، ولهذا كان خطابه لهم: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (الشعراء34-35).

- المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾ (الشعراء57-59).

وقال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾﴾ (الدخان 25-28).

الموضع الأول: في الشعراء: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم ﴾، وفي الدخان ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ ﴾.

الموضع الثاني: في الشعراء: ﴿وَكُنُوزٍ﴾، وفي الدخان: ﴿وَزُرُوعٍ ﴾.

قال السمرقندي: " وكنوز يعني من الأموال الكثيرة "[1]

الموضع الثالث: في الدخان زيادة: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾.

قال الثعالبي: " والنعمة بفتح النون: غضارة العيش، ولذاذة الحياة"[2]

الموضع الرابع: في الشعراء ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾، وفي الدخان: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾.

لقد كان سياق الشعراء يفصل المغالبة بين موسى (عليه السلام) وفرعون وآله، وهو في هذا المقطع يبين نهاية هذه المغالبة، وفي لفظ الإخراج المضاف إلى ضمير العظمة ما يبين شدة الغلبة وقوة القهر: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم ﴾، ثم بدأ يعدد مالذي اخرجهم منه.

وذكر الكنوز التي هي للملأ وأهل الجاه ولم يذكر الزروع لأنها للعامة والخاصة.

وأما الزيادة التي تميزت بها الدخان في الموضع الثالث وهي قوله: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾، فهي وصف لحالهم الناشئة عن التمتع بالنعم، ولهذا لم يذكر أنهم أخرجوا منها في

[1] - تفسير السمرقندي، نصر بن محمد السمرقندي، تح، محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، دت، ج2، ص555.
[2] - تفسير الثعالبي، ج4، ص39.

الشعراء، بل ذكر وصف لحالهم الناشئة عن التمتع بالنعم، فإذا أخرجوا منها فقدوا التلذذ والتنعم لأنه نتيجة.

وأما التصريح ببني إسرائيل في الشعراء فهذا سببه أن السورة تبين حال المغالبة بين أتباع موسى وأتباع فرعون، ولهذا بينت الربح لأهل الله والخسار لأهل الشيطان.

وأما الدخان فكانت تبين لأهل الشرك في مكة مصير قوم ظلموا وطغوا قبلهم، وقد أحل الله بهم عقوبته التي لا ترد عن القوم الظالمين.

قال ابن عطية: " وقوله: ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ (الآية) قبله محذوف تقديره: فغرقوا وقطع الله دابرهم، ثم أخذ يعجب من كثرة ما تركوا من الأمور الرفيعة الغبيطة في الدنيا و﴿كَم﴾ خبر للتكثير"[1]، ثم فصل في أنواع النعم الشاملة لجميعهم، فذكر الجنات، والعيون، والزروع، ولم يقل الكنوز؛ لأن الكنوز لا تعمهم، بل هي لبعضهم، وأما الزروع فقد أترفهم الله بها بما حباهم من العيون والأرض الخصبة، ثم ذكر المقام الكريم، " وهو ما كان لهم من المجالس والمساكن الحسنة"[2]، ثم زادت الدخان بذكر وصف يبين حالهم مع هذه النعم ليبين عظم خسارتهم، وهذا الوصف هو التنعم، فقال في الموضع الثالث: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾، وتركوا هذا التنعم بكفرهم وظلمهم.

وأما إبهام القوم الوارثين في الموضع الرابع فسببه أن القصد في الآيات هو الحديث عن هلاك الطغاة، وليس بهم من يرثهم بعد هلاكهم، فكان في الإبهام بيانا العظيم خسارتهم لا غير ذلك، ولهذا كان الحديث عن شأن بني إسرائيل بعد ذلك بجمل أخرى فقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ (الدخان 30-31)، وفي بيان خسارة أهل الكفر، ثم التعقيب ببيان نجاة المؤمنين: " الإشارة إلى أن الله تعالى ينجي الذين آمنوا بمحمد (ص) من عذاب أهل الشرك بمكة، كما نجي الذين اتبعوا موسى(عليه السلام) من عذاب فرعون، وجعل طغيان فرعون وإسرافه في الشر مثلا لطغيان أبي جهل وملئه".[3]

1 - المحرر الوجيز، ابن عطية، ج4، ص72.
2 - الكشاف، ج4، ص269.
3 - التحرير والتنوير، ج25، ص304.

سورة النمل

قال ابن الجوزي: " وهي مكية كلها بإجماعهم".[1]

وقال ابن جرير: " يقول الله تعالى ذكره: وإنك يا محمد، لتحفظ القرآن وتعلمه ﴿مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ۝٦﴾(النمل 6)، يقول: من عند حكيم بتدبير خلقه، عليم بأنباء خلقه مصالحهم، والكائن من أمورهم، والماضي من أخبارهم،والحادث منها".[2]

وقال البقاعي عن هذه السورة: " مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين، بالفصل بين الصراط مستقيم وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين لإحاطة علم منزله بالخفي والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين بيوم اجتماع الأولين والآخرين، و كل ذلك يرجع إلى العلم المستلزم للحكمة، فالمقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة"[3].

وقد وردت قصة موسى في هذه السورة مختصرة، لكنها كانت مجملة قد استوعبت شأن بني إسرائيل من إرسال موسى (عليه السلام) حتى نهاية فرعون، فكانت بهذا تبين عجيب أمر القرآن وعظيم أخباره كما ظاهر في افتتاحها.

وقد مر بنا ما التقى من آياتها مع ما قبلها من السور، أما التقى بما بعدها فسيأتي في حينه.

- مقطع واحد فقط:

قال تعالى: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ ﴾ (النمل 10-11).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ۝٣١ ﴾ (القصص31).

الموضع الأول: في النمل: ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾، وفي القصص: ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾.

قال الزمخشري: " فإن قلت علام عطف قوله ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ﴾ قلت على ﴿بُورِكَ﴾ لأن المعنى: ﴿نُودِىَ أَنْ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾، ﴿أَلْقِ عَصَاكَ ﴾، كلاهما تفسير لنودي، والمعنى قيل له: بورك من في النار، وقيل له: ألق عصاك، والدليل على ذلك قوله تعالى:

---

[1] - زاد المسير، ج6، ص153.
[2] - جامع البيان، ج18، ص8.
[3] - نظم الدرر، ج14، ص122.

﴿وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَ﴾ (القصص31)، بعد قوله: ﴿أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ (القصص30) على تكرير حرف التفسير، كما تقول: كتبت إليك أن حج أو اعتمر، وإن شئت أن حج واعتمر".[1]

أما في القصص فقد نادى الله موسى (عليه السلام بنداء ين، نبأ في الأول بربوبيته للعالمين، وكان النداء الثاني تطمين لموسى (عليه السلام) ولهذا جاء حرف التفسير بين النداءين.

الموضع الثاني: في القصص زيادة: ﴿أَقۡبِلۡ﴾.

الموضع الثالث: في النمل: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١١﴾ وفي القصص، لأن تلك الزيادة مدلول عليها بسياق الكلام.

قال ابن عاشور: " وزيادة ﴿أَقۡبِلۡ﴾ في النمل: لأنه لما أدبر خوفا من الحية كان النهي عن الخوف يدل على معنى طلب إقباله، فكان الكلام هناك إيجازا، وكان هنا مساواة تفننا في حكاية القصتين".[2]

أما المساواة في المقطع الثالث في النمل، فهو الموافق لسياقها؛ لأنه يبين الحكم العام لجميع المرسلين عند ربهم سبحانه، والسورة تبين أمر الرسالة بإجمال كما هو معلوم من سياقها.

أما القصص فقد كانت زيادة قوله: ﴿أَقۡبِلۡ﴾فيها تبين مزيد التلطف بموسى (عليه السلام) على ما هو معروف من سياقها، وكذلك ما ختمت به آيتها، كما في الموضع الثالث ووجه ذلك أن قوله﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ " أبلغ ما يكون في التامين وعدم الخوف فإن قوله﴿أَقۡبِلۡ﴾ يقتضي الأمر بإقباله، ويجب عليه الامتثال، ولكن قد يكون إقباله وهو لم يزل في الأمر المخوف ن فقال: ﴿وَلَا تَخَفۡ﴾ أمر له بشيئين: إقباله وأن لا يكون في قلبه خوف، ولكن يبقى احتمال وهو: أنه قد يقبل وهو غير خائف ولكن لا تحصل له الوقاية والأمن من المكروه، فلذلك قال: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ﴾ فحينئذ اندفع المحذور من جميع الوجوه، فأقبل موسى(عليه السلام) غير خائف ولا مرعوب، بل مطمئنا واثقا بخبر ربه، قد ازداد إيمانه وتم يقينه، فهذه آية أراه الله إياها قبل ذهابه إلى فرعون؛ ليكون على يقين تام فيكون أجرأ له وأقوى واصلب [3].

---

1 - الكشاف، ج3، ص339..
2 - التحرير والتنوير، ج20، ص113.
3 - تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص565.

سورة القصص

سورة القصص مكية وهي آخر آل طس.[1]

وأما غرض السورة التي تدور عليه، فهو تقرير إرادة الله وقدرته في إنقاذ المستضعفين من المؤمنين حتى يكون لهم التمكين في الأرض، وإظهار قدرته وإرادته في إهلاك أهل الباطل العالين في الأرض، ومن سنن الله في أرضه أنه: " إذا أراد أمرا هيأ أسبابه، وأتى بها شيئا فشيئا بالتدريج لا دفعة واحدة ". [2]

وقد بنيت السورة من ألطاف الله ما لا يخطر على بال فأجرى الله سبحانه: " من الأسباب– التي لم يشعر بها أولياؤه ولا أعداؤه– ماهو سبب موصل إلى هذا المقصود".[3]

وقد ورد ما التقى منها مع ما قبلها من السور، ولم يرد ما يشبه تعابيرها في ما بعدها من السور.

سورة الزخرف

قال ابن الجوزي: " وهي مكية بإجماعهم".[4]

وقد كانت السورة في أولها تنذر كفار مكة، وتحكم عليهم بالإسراف، وتمثل حالهم بحال من كفر قبلهم، فذكرت السورة قصة إبراهيم (عليه السلام) مع قومه، وقد كان حالهم في عبادتهم مشابها لكفارقريش.

قال ابن جرير: " وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد: إنني براء مما تعبدون من دون الله، فكذبوه، فانتقمنا منهم كما انتقمنا ممن قبلهم من الأمم المكذبة رسلها".[5]

سورة الدخان

قال ابن عاشور: " وهي مكية في قول الجمهور، قال ابن عطية: هي مكية لا أحفظ خلافا في شيء منها، ووقع في الكشاف استثناء قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ (الدخان15) ولم و يعزه إلى قائل، ومثله القرطبي"[6].

---

1 - ينظر الجامع لأحكام القرآن، ج13، ص164.
2 - تيسير الكريم الرحمن، ص568.
3 - تيسير الكريم الرحمن، ص561.
4 - زاد المسير، ج7، ص301 .
5 - جامع البيان، ج20، ص575 .
6 - التحرير والتنوير، ج25، ص275.

وهذه السورة تبين التحدي بالقرآن كحال السور المفتتحة بالحروف المقطعة، ولكن هذه السورة ذكرت تخصيص نزول القرآن في الليلة المباركة وهي ليلة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾ (الدخان3)، وبينت عظمة هذه الليلة وعظمة المنزل سبحانه، وقررت كفار قريش بما يقرون به من توحيد الربوبية: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ۝٧ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ رَبُّكُمۡ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٨﴾ (الدخان 7-8) ثم قررت أنهم: ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون به من الأخبار، ولكنهم في شك منه، فهم يلهون بشكهم.[1]

وأما قصة موسى (عليه السلام) في سورة الدخان فقد كان موضوعها واحدا وهو الخروج ببني إسرائيل من مصر، وتخليصهم من فرعون.

وقد ما مضى ما التقى من هذه السورة بما قبلها في موضعين درسهما هذا البحث، وليس فيها ما يلتقي بما بعدها من الذكر الحكيم،

وبسورة الدخان يتم الشق الأول من الدراسة التطبيقية، والتي يبدو من خلال السياق العام، أن فيها تحذيرا لقريش من المصير المرعب الذي ينتظرهم إذا هم تمادوا في شركهم وطغيانهم، ثم تثبيت فؤاد النبي (ص) و تقوية معنويات أصحابه، بتأكيد أن جميع الرسل قد تعرضوا للتكذيب من أقوامهم ولكنهم صبروا حتى جاءهم النصر من الله.

[1] - جامع البيان، الطبري، ج21، ص13.

الفصل الثالث :

الفترة الإسرائيلية
(بعد الخروج)

قد تناول البحث في شقه الأول من الدراسة التطبيقية، المقاطع التي عالجت قصة نبي الله موسى (عليه السلام) مع بني إسرائيل في المرحلة المصرية، أو مرحلة قبل الخروج، وهي المرحلة التي يخدم فيها القصص القرآني وعلى تعدد السياقات – وبالخصوص قصة موسى – الدعوة المحمدية وما واجهها من تعنت قريش و تصديهم للحق، وفي الحال شبه، لأن نبي الله موسى وقومه قد تعرضوا للاضطهاد، والتعذيب، والتنكيل، كشأن النبي محمد (ص) ومن اتبعه في بداية الدعوة، وفي ذلك تثبيت لفؤاد النبي (ص) وأتباعه.

وفي الشق الثاني من هذه الدراسة يتتبع البحث المقاطع التي تناولت قصة نبي الله موسى (عليه السلام) في المرحلة الإسرائيلية، أو مرحلة ما بعد الخروج، لأن السياقات تختلف بين المرحلتين، ففي المرحلة الأولى دار الصراع بين النبي موسى (عليه السلام) وأتباعه من جهة، وفرعون وملئه من جهة ثانية، أما في المرحلة الثانية فأصبح الصراع بين موسى وأتباعه، لأنهم كفروا بأنعم الله عليهم، بعد أن أنجاهم من فرعون وملئه الذين كانوا يسومونهم سوء العذاب، فكانت السياقات مختلفة، فهي في أغلبها تذكير لهم بأنعم الله عليهم، و في الحال شبه بحال اليهود في المجتمع المسلم في المدينة عند إقامة الدولة الإسلامية، وكيف كانوا ينقضون العهود والمواثيق التي كانت بينهم وبين المسلمين.

سورة البقرة

سورة البقرة مدنية بلا خلاف[1]، والسياق العام لهذه السورة هو: " تقرير أصول العلم وقواعد الدين" [2]، ولقد كانت هذه السورة الكريمة من أوائل السور التي نزلت بالمدينة إن لم تكن أولها.

قال ابن حجر رحمه الله: " واتفقوا على أنها مدنية وأنها أول سورة أنزلت بها".[3]

ولقد اعتنت السورة بمخاطبة جميع طوائف المجتمع المدني ومنهم طائفة بني إسرائيل، والملاحظ أن قصة موسى(عليه السلام) مع فرعون في هذه السورة قد وردت بسياق ظاهر فيه تعداد النعم والآلاء على بني إسرائيل ويتبين ذلك في المواضع التالية:

أن أول آية في القصة أتت كالعنوان فكانت صريحة في تحديد هذا السياق حيث يقول تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾ (البقرة40)، ثم أكد هذا المعنى في الآية(47) حيث قال سبحانه : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (البقرة 47)، وكذا في الآية (122) من السورة نفسها قال سبحانه : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ (البقرة 122).

قال ابن القيم: "وأما قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (البقرة 47) فإنما يذكرهم بنعمه على آبائهم، ولهذا يعددها عليهم واحدة واحدة; بأن أنجاهم من آل فرعون، وبأن فرق بهم البحر، وبأن وعد موسى أربعين ليلة فضلوا بعده، ثم تاب عليهم وعفا عنهم، وبأن ظلل عليهم الغمام، وأنزل عليهم المن والسلوى...فكانت نعمه على آبائهم نعمة منه عليهم تستدعي منهم شكرا، فكيف

[1] - البرهان في علوم القرآن، ج1، ص187.
[2] - مجموع الفتاوى، ج14، ص41.
[3] - الإتقان في علوم القرآن، ج1، ص80-81.

تجعلون مكان الشكر عليها كفركم برسولي، وتكذيبكم له، ومعاداتكم إياه، وهذا لايدل على أن نعمته المطلقة التامه حاصلة لهم في حال كفرهم، والله أعلم".[1]

قال البقاعي: "المقصود من سياق قصص بني إسرائيل في البقرة الاستجلاب للإيمان بالتذكير بالنعم".[2]

وممن صرح بظهور هذا السياق ابن الزبير الغرناطي في قول الله تعالى: ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾ (البقرة 58) حيث قال: "فورد جمعها في البقرة مكسرا ليناسب مابنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم والآلاء .....فطابق الوارد في البقرة ماقصد من تكثير الآلاء والنعم ". [3]

وكذا صرح السيوطي بذلك في الآية نفسها حيث قال: " ونكتته أن آية البقرة في معرض ذكر النعم عليهم ". [4]

- المقطع الأول:

يقول تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (البقرة48).

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ (البقرة123).

قال القرطبي: " وقد أجمع المفسرون على أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ النفس الكافرة لا كل نفس " [5]

---

1 - محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، بدائع الفوائد ، تح ،علي العمران ، دار عالم الفوائد،مكة المكرمة، ط1425،1هـ،ج2، ص427.
2 - نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج2 ،ص70.
3 - ملاك التأويل، ج1، ص207.
4 - الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص997.
5 - تفسير القرطبي، ج1، ص258.

والإجماع هنا إجماع أهل السنة، وإلا فقد خالف في ذلك الوعيدية من المعتزلة والخوارج فنفوا الشفاعة للعصاة. [1]

وأما لفظ العدل فقد قال ابن جرير: " والعدل في كلام العرب بفتح العين الفدية... و إنما قيل للفدية من الشيء والبدل منه "عدل" لمعادلته إياه وهو من غير جنسه...كما قال جل ثناؤه: ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ (الأنعام70) بمعنى وإن تفد كل فدية لا يؤخذ منها ". [2]

وهاتان الآيتان في شأن اليهود كما يبدو من السياق، قال ابن عاشور: " وقد كانت اليهود تتوهم أوتعتقد أن نسبتهم إلى الأنبياء وكرامة أجدادهم عند الله تعالى مما يجعلهم في أمن من عقابه على العصيان والتمرد.... وقد أشار لذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ (المائدة18)". [3] والآية الأولى جاءت في أول قصة بني إسرائيل، وقد افتتح الله خطابه لهؤلاء اليهود المعاصرين للنبي (ص) قبل هذه الآية بثماني آيات، والذي يظهر أن الخطاب كان معنيا به أحبار اليهود وعلماؤهم وأما العامة فكانوا تبعا لهم، وقد افتتح هذا الخطاب بتذكيرهم بنعمة الله عليهم استجلابا للإيمان، ثم أمرهم بالوفاء.

قال ابن جرير: " وهو في هذا الموضع عهد الله ووصيته الذي أخذ على بني إسرائيل في التوارة أن يبينوا للناس أمر محمد (ص) أنه رسول الله، وأنهم يجدونه مكتوبا عندهم أنه نبي الله، وأن يؤمنوا به وبما جاء به من عند الله". [4]

ولقد سعى هذا الخطاب في قطع العوائق التي قد تعوق هؤلاء الأحبار عن اتباع النبي (ص) ، وكان أعظم ذلك ماهو عليه من الرياسة.

قال ابن جرير: " فتأويل الآية إذن: لا تبيعوا ما آتيتكم من العلم بكتابي و آياته بثمن خسيس، وبيعهم إياه تركهم إبانة مافي كتابهم من أمر محمد (ص) للناس، بثمن قليل، وهو

---

1 - الكشاف، ج1، ص140.
2 - تفسير الطبري، ج1، ص637.
3 - التحرير والتنوير، ج1، ص486-487.
4 - جامع البيان، ج1، ص596.

رضاهم بالرياسة على أتباعهم من أهل ملتهم ودينهم " [1] ثم حذرهم من أن تعميهم شهوة الرياسة فيلبسوا الحق بالباطل، أو أن يكتموا أمر محمد (ص) ، والخطاب بعد ذلك حقيقة من حقائقهم التي يستترون وراءها وهو أنهم كانوا يأمرون أتباعهم بالتمسك بالتوارة، وهم ينسون حظهم منها في تركهم الامتثال لما تأمر به التوارة من اتباع النبي (ص) كما هو تفسير ابن عباس للآية. [2]

ثم تأتي الآية محل البحث فتجتث آخر ما قد بقي عند هؤلاء الأحبار من عوائق، فإنه بعد أن بين الله علمه بخبايا أمورهم، وحذرهم من حب الرياسة الذي أبعدهم عن الحق، فإنه لابد أن تكون نفوسهم قد علمت ذنبها وإن لم تقربه، وهذا ما يجعلهم لا يستعظمون ذنوبهم وعصيانهم للنبي (ص) ، ولهذا فقد بادرت الآيات من أول القصة إلى نزع هذا العائق، فكان المناسب أن يكون الحديث عن النفس الشافعة، وبيان حالها لهؤلاء القوم، فقد ذكر الشفاعة نافيا قبولها من الشافع، ثم ثنى بذكر العدل الذي قد تقدمه النفس الشافعة من مالها أومن مال المشفوع له بين يدي شفاعتها فيما لو ردت شفاعتها. [3]

أما الآية الثانية فجاءت آخر آية في القصة، وقد سبقها آيات كثيرة تبين فضائح اليهود، وقد يكون بين أول القصة و آخرها زمن طويل لم يستجب فيه اليهود فكان أن تغير الخطاب لهم وذلك أننا نجد في آخر القصة أن الخطاب قد توجه إلى النبي (ص) حتى يتبع ملتهم، وحذره من اتباعهم، ثم بين أن من أوتي التوارة حقا هو من يتبعها، ومن اتبعها لابد أن يتبع النبي (ص) لما فيها من الأمر باتباعه، وهؤلاء هم المؤمنون بالتوارة، ومن لم يؤمن بالنبي (ص) لم يؤمن بالتوارة وأولئك هم الخاسرون. [4]

وبعد ذلك تأتي الآية محل البحث وقد انكشفت للقوم حقيقة أنفسهم ، ولهذا كان الحديث عنهم هم عن النفس الثانية المجرمة المجزي عنها وبأنها لن يقبل منها يوم القيامه الفداء؛ لأنه لم يبق لهم بعد تعلق بالآباء، بل كأن هذه النفس قد عرفت جرمها فهي تريد الفداء بما لها، وفي هذا من التيئيس لهم وإقامة الحجة.

---

[1] - جامع البيان، ج1، ص604.
[2] - جامع البيان، ج1، ص614.
[3] - شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث،بيروت، دت،ج1، ص252.
[4] - جامع البيان، ج2، ص495 بتصرف.

فكان البدء بنفي العدل هو المناسب بلفظ القبول، لأنها تقدمه عن نفسها من مالهـــا، هو شدة التيئيس لهم أيضا حتى يعلموا أن لا سبيل للخلاص إلا بهذا الدين، وذلك أن فـــي نفي نفع الشفاعة ثبوت أصل الشفاعة في ذلك اليوم. [1]

والمعنى أن الشفاعة نافعة في ذلك اليوم لكن ليس لكم لما أنتم عليه من الكفر.

وبهذا يتبين سر اختصاص كل موضع بما اختص به، وسر تغاير الألفاظ.

- المقطع الثاني:

قال تعالى: ﴿وَإِذ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (البقرة 49).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ (الأعراف141).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ (إبراهيم6).

إن التضعيف في البقرة: ﴿نَجَّيْنَـٰكُم﴾ دون الأعراف وإبـــراهيم، اخـــتلاف فـــي الصيغة الصرفية، قال ابن عاشور: " فأما إن كان فعل المضاعف للتعديـــة فـــإن إفادتـــه التكثير مختلف فيها، والتحقيق أن المتكلم قد يعدل عن تعدية الفعل بالهمزة إلـــى تعديتـــه بالتضعيف لقصد الدلالة على التكثير; لأن المضاعف قد عرف بتلك الدلالة في حالة كونه لازما فقارنته تلك الدلالة عند استعماله للتعدية مقارنة تبعية....وأنا أرى أن استفادة معنى التكثير في حال استعمال المضعف للتعدية أمر من مستتبعات الكلام حاصل مـــن قرينـــة عدول المتكلم البليغ عن المهموز، الذي هو خفيف إلى المضعف الذي هو ثقيـــل، فـــذلك العدول قرينة على المراد وكذلك الجمع بينهما ". [2]

[1] - تفسير القرآن الكريم، محمد بن صالح العثيمين، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، 1423، ج2، ص39.
[2] - التحرير والتنوير، ج1، ص11.

قال ابن الزبير: " فلما كان موضع تعداد نعم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد ناسبه التضعيف لإثباته بالكثرة، ولو قيل هنا: وإذ أنجيناكم لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضا فإن التضعيف في: ﴿نَجَّيْنَٰكُم﴾ يناسب التضعيف الوارد بعده في قوله: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، ولم يكن لفظ: أنجيناكم غير مضاعف ليناسب ". [1]

وأما الأعراف فإن هذه الصيغة: ﴿أَنجَيْنَٰكُم﴾ محتملة أن تكون من مقول الله لهم، ويكون المقصود به اليهود الذين بين ظهراني مهاجري النبي (ص)، وهذا ما ذهب إليه ابن جرير .[2]

وقد يكون هنا " امتنانا من الله اعترضه بين القصة وعدة موسى (عليه السلام) انتقالا من الخبر والعبرة إلى النعمة والمنة فيكون الضمير ضمير تعظيم ". [3]

أما الموضع الثاني في هذا المقطع فقد جاء في البقرة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ وفي الأعراف ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

فهناك إبدال كلمة بكلمة ففي البقرة وإبراهيم ﴿يُذَبِّحُونَ﴾. وفي الأعراف ﴿يُقَتِّلُونَ﴾ وكذا زيادة حرف العطف في سورة إبراهيم، فقد فصل في البقرة بين جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وجملة: ﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾وفصل في الأعراف بين جملة ﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ وجملة ﴿يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾ وأما في سورة إبراهيم فقد وصل فقال ﴿وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ﴾.

فإذا عدنا إلى إبدال ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ و﴿يُقَتِّلُونَ﴾ فلا بد من النظر إلى المفردتين في اللغة، يقول الراغب:" أصل الذبح : شق حلق الحيوانات .....وقوله: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ (البقرة49) على التكثير أي يذبح بعضهم إثر بعض "[4] .

---

1 - ملاك التأويل، ج1، ص199.
2 - جامع البيان، ج10، ص413 بتصرف.
3 - التحرير والتنوير، ج9، ص85.
4 - الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح، صفوان داودي ، دار القلم،دمشق، ط، 1412 هـ ، ص 326.

" فالذبح مبني عن القتل وصفته"[1]. وأما القتل فهو أعم من ذلك، قال الراغب:" أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد "[2] ، أما ابن فارس فقال: " القاف والتاء واللام أصل يدل على إذلال وإماتة "[3] فهو يزيد قيدا وهو الإذلال المصاحب لإزالة الروح.

وأما عن الوصل والفصل قال أبو حيان:" فحيث لم يؤت بالواو جعل الفعل تفسيرا لقوله تعالى :" يسومونكم "، وحيث أتى لها ذل على المغايرة، وأن سوم العذاب كان بالتذبيح وبغيره "[4]

وبالرجوع إلى كل لفظ في سياقه فإننا نعلم أن سياق البقرة في تعداد النعم على بني إسرائيل يمتن الله بها عليهم، فتكون هذه النجاة فردا من أفراد النعمة ذكرهم الله بها بلفظ التذبيح مفسرا بها سوم العذاب، والمخاطبون في البقرة هم بنو إسرائيل الذين في عهد النبي (ص) ، ولم يحصل لهم سوم عذاب مباشر ولا تذبيح أبناء مباشر وإنما كان هذا لأسلافهم، والمنة على أسلافهم منة عليم، فكان التذكير لهم ببيان سوم العذاب بما هو أبلغه وأشده، وهو تذبيح الأبناء بشق الحلوق، واستحياء النساء وبقائهن تحت يد العدو يفعل بهن ما يشاء من الفاحشة والعار. [5]

وأما سورة الأعراف فقد كان الأمر فيها تذكيرا لبني إسرائيل بنعمة الخلاص من الفناء الذي كان يرومه لهم فرعون وقومه، فكان لفظ التقتيل وهو اللفظ العام الشامل لجميع أنواع القتل، هو اللفظ المناسب، إذ المقصود بيان خلاص القوم من الاستئصال والفناء، فإنه لو بقي الحال على ماكان يرصده العدو لهم لفنيت بنو إسرائيل، ولقد بين الله هذا الرصد من هذا العدو في هذه السورة قبل ذلك فقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ (الأعراف 127).

---

1 - ملاك التأويل، ج1، ص 199.
2 - مفردات ألفاظ القرآن، ص 655.
3 - معجم مقاييس اللغة، ص874.
4 - التحرير والتنوير، ج1، ص 493 .
5 - دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي ،ط1،مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1417هـ ، ص18.

قال القاسمي: " وانظر كيف قال العدو: ﴿سَنُقَتِّلُ﴾ باللفظ الأعم إذ كان قصدهم الإفناء لا صورة من العذاب، وهذا التهديد من فرعون كان بعد ظهور أمر موسى وقد سبقه تقتيل لبني إسرائيل يدل عليه قولهم لنبيهم عليه السلام بعده بآية: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ (الأعراف129). والذي يظهر – والله اعلم – أن هذا التقتيل الأول لم يكن عاما لجميع الأبناء ; لأنه لم يقصد به الفناء، بل كان مقصودا به تقليل بني إسرائيل حتى يبقوا تحت القهر والخدمة، ولا يكون لهم شوكة يخشى منها القوم على ملكهم، قال تعالى: ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ (القصص4). وذلك إماتة لرجالهم، وتقليلا لعدد هم، كيلا يكثروا فينازعوه الملك ". [1]

وأما سورة إبراهيم فإن موسى (عليه السلام) هو المخاطب لبني إسرائيل، وكان خطابا لهم جميعا يذكرهم بنعمة الله عليهم، فالموضع موضع تعداد نعم وآلاء، فكان المناسب أن يذكرهم أولا بإنجاء الله لهم مما قد وقع عليهم جميعا وكابده جميعهم، نجاة كانت على وجه من السرعة والصفة لم تكن في معهودهم.

– المقطع الثالث:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ٥١﴾ (البقرة 51).

وقال تعالى: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ١٤٢﴾ (الأعراف 142).

إن زيادة كلمة ﴿وَإِذۡ﴾ في البقرة ظاهر مناسبتها لما سبق بيانه من سياقها – تعداد النعم على بني إسرائيل – وقد كانت هذه المواعدة لموسى (عليه السلام) من جملة هذه

[1] - محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ ، ج5، ص416.

النعم التي امتن الله بها عليهم إذ كان فيها تكليم الله سبحانه لموسى، ولم تأت هذه الزيادة في الأعراف، لأن السياق لم يكن في تعداد النعم على بني إسرائيل، بل لبيان قصتهم مفصلة وما صحب ذلك من عصيانهم وتمردهم.

أما الموضع الثاني من هذا المقطع ﴿أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ في البقرة، ﴿ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ في الأعراف.

قال أبو حيان: " ونصب أربعين على المفعول الثاني لواعدنا على أنها هي الموعودة، أو على حذف مضاف التقدير تمام أو انقضاء أربعين حذف وأقيم المضاف إليه مقامه فأعرب إعرابه كما قال الأخفش ". [1]

وقال ابن جرير: " ومعنى ذلك إذ واعدنا موسى أربعين ليلة بتمامها فالأربعون ليلة كلها داخلة في الميعاد. وقد زعم بعض نحويي البصرة أن معناه وإذ واعدنا موسى انقضاء أربعين ليلة أي رأس الأربعين ومثل ذلك بقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ (يوسف82) ، وبقولهم اليوم أربعون منذ خرج فلان واليوم يومان أي تمام يومين وتمام أربعين، وذلك خلاف ما جاءت به الرواية عن أهل التأويل وخلاف ظاهر التلاوة ".[2]

وقال الشنقيطي: " وأظهر الأقوال عندي في المراد بهذا الوعد الحسن: أنه وعدهم أن ينزل على نبيهم كتابا فيه كل ما يحتاجون إليه من خير الدنيا و الآخرة.

وهذا الوعد الحسن المذكور في قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ﴾ (طه80)".[3]

وقد مر بنا فيما سبق أن البقرة مقصود بها تعداد النعم، وعليه فلا بد أن يكون الإجمال في البقرة لمناسبة هذا السياق. أما عن فصل العشر عن الثلاثين في سورة الأعراف فقال الزركشي رحمه الله: " فإن قلت فلم ذكره في هذه السورة أعني الأعراف الثلاثين ثم العشر وقال في البقرة: ﴿وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ ولم يفصل العشر

---

[1] - محمد بن يوسف أبو حيان الاندلسي، البحر المحيط، تح، عاد عبد الموجود وأخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ، ج1، ص357.

[2] - جامع البيان، ج1، ص666.

[3] - محمد الأمين الشنقيطي، أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، 1413هـ، ج4، ص535.

منها؟ والجواب – والله أعلم – أنه قصد في الأعراف ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها فذكرها على صفتها، وفي البقرة إنما ذكر الامتنان على بني إسرائيل بما أنعم به عليهم فذكر نعمة عليهم مجملة " [1]

ومن خلال هذه النصوص فإن الاحتكام كان للسياق حيث أن الله سبحانه وعد موسى (عليه السلام) أولا ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر كما هو ظاهر في آية الأعراف، ولم يفصل الأربعين في البقرة بل أجمل، ليكون التذكير في البقرة بنهاية الأمر على ماتمت به النعمة وكمل به الفضل على بني إسرائيل بتمام ذلك لنبيهم كليم الله، أما في الأعراف فقد قصد سبحانه ذكر صفة المواعدة والإخبار عن كيفية وقوعها، وهو الموافق لسياق سورة الأعراف.

– المقطع الرابع:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (البقرة 55).

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَـٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ (النساء153).

لقد كان سياق البقرة في تعداد النعم على بني إسرائيل، ولقد كانت آياتها على أسلوب الخطاب لهم، لأنها في سياق تذكيرهم بالنعم ودعوتهم للدخول في هذا الدين.

وأما سورة النساء فقد وردت القصة في سياق الترهيب والزجر لبني إسرائيل، فكان المناسب لهذا أن يكون الخطاب للنبي (ص) ، وهذا ماسيأتي بيانه في هذا البحث.

لقد كانت هذه الصاعقة لبني إسرائيل بسبب ظلمهم أنفسهم " وظلمهم أنفسهم كان مسألتهم موسى (عليه السلام) أن يريهم ربهم جهرة; لأن ذلك مما لم يكن لهم مسألته ". [2]

---

[1] - البرهان في علوم القرآن، ج2، ص479.
[2] - جامع البيان، ج7، 642.

ولقد كانوا يعلمون أن ذلك لم يكن لهم; لأنهم قيدوا إيمانهم بالرؤيةعصيانا منهم وتكبرا على رأي ابن عاشور. [1]

ولقد كانت سورة البقرة معنية بتذكير القوم بالنعمة استجلابا لهم للإيمان، ولقد صرحت البقرة بذنبهم القبيح، وهو تقييدهم الإيمان بالرؤية ومجاهرتهم بذلك فلم يحتج إلى زيادة: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾. أما سورة النساء فقد افتتح الحديث عن بني إسرائيل فيها بهذه الآية التي تبين نعتهم، فكان سياق الحديث عنهم مقصودا به زجرهم وترهيبهم.

قال ابن عاشور: " واستطرد هنا لما لحقهم من جراء سؤالهم هذه الرؤية وما ترتب عليه فقال: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾وهو ما حكاه تعالى في سورة البقرة بقوله: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾وكان ذلك إرهابا لهم وزجرا ولذلك قال: ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾والظلم هو المحكي في سورة البقرة من امتناعهم من تصديق موسى إلى أن يروا الله جهرة " [2]

-المقطع الخامس:

قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ (البقرة 57).

وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأعراف 160).

[1] - التحرير والتنوير، ج4، ص15 بتصرف.
[2] - التحرير والتنوير، ج4 ، ص15.

وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُمۡ مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَلَا تَطۡغَوۡاْ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِي ۖ وَمَن يَحۡلِلۡ عَلَيۡهِ غَضَبِي فَقَدۡ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ (طه 80-81).

قد سبق أن سورة البقرة تخاطب اليهود المعاصرين للنبي (ص) ، وأما الأعراف فهي تخص خبر بني إسرائيل وتسجل تاريخهم، وما يتبع ذلك من بيان عصيانهم.

وأما آيتا طه فقد قيل: إنه " إنشاء خطاب للذين كانوا منهم في عهد النبي (ص) على معنى أنه تعالى قد من عليهم بما فعل بآبائهم أصالة وبهم تبعا " [1]، وقيل إنها خطاب خاطب الله به بني إسرائيل بعد إنجائه لهم: " أي قلنا يابني إسرائيل، وحذف القول كثير في القرآن " [2]. والسياق قبلها وبعدها في شأن بني إسرائيل المحدث عنهم لا المعاصرين للنبي (ص) فكون هذه الآية متصلة لا معترضة أولى، فإن ما قبلها ظاهر أنها حكاية عن أسلافهم وما بعدها من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾﴾ (طه 83) كذلك، ولهذا فالوجه هو الحكاية لا الإنشاء [3].

والقصة في سورة طه متسلسلة على الترتيب الزمني، فإذا تبين هذا وتقرر أن ما في طه إنما هو خبر عن بني إسرائيل، فهذا القول قيل لبني إسرائيل بعد نجاتهم من فرعون، وعلى هذا يكون إنزال المن والسلوى متقدما لبني إسرائيل قبل التيه، فيكون كأنه ضيافة من ربهم لهم حين نجاتهم وقد كانوا بحاجة إلى الطعام. [4]

وفي هذا الاختلاف الحاصل بين الآيات قال الشنقيطي عن آية البقرة: " ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ هنا محذوف دل المقام عليه، و المعنى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ أي: أنعمنا عليهم هذه النعم فقابلوا نعمنا بعدم الشكر، وارتكاب

---

1 - محمد بن محمد العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث،بيروت، ط4، 1414هـ ، ج6، ص32.
2 - الكشاف ج6 ، ص33 بتصرف يسير.
3 - إرشاد العقل السليم ، العمادي ، ج6 ، ص33 بتصرف يسير.
4 - أبو محمد عبد الحق عن غالب بن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ ، ج4، ص55.

المعاصي، ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بتلك المعاصي التي قابلوا بها نعمنا ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ " [1]. وآية الأعراف مثلها في المعنى.

وأما سورة طه فالمعنى فيها: أن الله يأمرهم بالأكل من رزقه، وينهاهم عن مجاوزة الحد فيه، وبين لهم أن ذلك يسبب لهم حلول غضبه، وأن من يحلل عليه غضب الله يهلك. [2]

فالبقرة كانت تخاطب معاصري النبي (ص) وهي ببيانها النعمة على أسلافهم وببيانها جزاءهم، تدعو للإيمان، وتحذرهم مثل صنيع أسلافهم لكي لايحل بهم مثل ماحل بأولئك، وهذا هو سياق البقرة.

وأما الأعراف فهي تسجل تاريخهم، ومن ذلك بيان حالهم تجاه تلك النعمة، وهذا التاريخ هو دائما لمسارعتهم في العصيان.

وأما طه فلكونها خطابا للناجين من بني إسرائيل في أول أمرهم واستقبالهم لهذه النعم، فلقد كان المناسب هو وعظهم وتحذيرهم من حلول العقوبة بهم إن لم يقوموا بحقها، وحثهم على التوبة والإنابة.

- المقطع السادس:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨﴾ (البقرة 58).

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١﴾ (الأعراف 161).

[1] - محمد الأمين الشنقيطي، العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار ابن القيم،الرياض، ط1، 1424هـ ، ج1، ص106

[2] - جامع البيان، ج16، ص125 بتصرف يسير.

الموضع الأول في هذا المقطع في البقرة ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وفي الأعراف ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ﴾. لقد أسند الفعل في البقرة إلى الله، وبصيغة الجمع، " وصيغة الجمع للتعظيم"[1]؛ لأن هذا المناسب لسياق تعداد النعم فيها.

وأما الأعراف فقد بني الفعل لما لم يسم فاعله، " وإيراد الفعل هنا مبينا لغير المعلوم جريا على سنن الكبرياء " [2] ، والمناسب لسياق الأعراف والذي هو معني ببيان سرعة القوم في الكفر وقساوتهم وعصيانهم في كل مرة، ولهذا فقد جاء الفعل على الصيغة التي تشعر بالسخط عليهم وترك العناية بهم. أما الموضع الثاني في هذا المقطع : في البقرة ﴿ٱدۡخُلُواْ﴾ وفي الأعراف ﴿ٱسۡكُنُواْ﴾، وليس هذا مما يسمى بالترادف لأن: " أمرهم بالدخول مغاير من حيث المعنى لأمرهم بسكناها وإن كان الأمر بدخولهم قد يشير بما نسق معه إلى سكناها لكن ليس نصا بل ولا هو ظاهر"[3]

أما الموضع الثالث: في البقرة ﴿فَكُلُوا﴾ وفي الأعراف ﴿وَكُلُوا﴾، ومن المعلوم أن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب أما الواو فتقيد مطلق الجمع .

أما الموضع الرابع: في البقرة ﴿رَغَدًا﴾، وبحذفها في الأعراف.

لقد أمر الله بني إسرائيل بدخول القرية، والتي هي بيت المقدس قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: " والتحقيق الذي عليه جمهور المفسرين أنها بيت المقدس ويدل عليه قوله تعالى في المائدة: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ (المائدة21) هذه القرية ". [4]

أما الموضع الخامس في هذا المقطع: في البقرة: ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ﴾ وعكسها في الأعراف: ﴿وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ لقد كان السجود الذي أمر به الله بني إسرائيل سجود شكر على الفتح والنصر ورد البلد المقدس إليهم، [5]

1 - العذب النمير، ج1، ص107.
2 - روح المعاني، ج9، ص88.
3 - ملاك التأويل، ج1، ص104.
4 - العذب النمير، ج1، ص107.
5 - إرشاد العقل السليم، ج3، ص283.

ولما كان سياق البقرة في تعداد النعم كان المناسب بذكر المناسب لهذا السياق وهو تقديم ذكر سجود الشكر لله على هذه النعمة على ذكر طلب حط الذنوب.

وأما الأعراف فإنه لما كان الغرض من سياقها بيان عصيان القوم وكثرة ذنوبهم كان المناسب تقديم ماينا سب هذا السياق، وهو طلب حط الذنوب على سجود الشكر والله أعلم. [1]

أما الموضع السادس في هذا المقطع: في البقرة: ﴿خَطَٰيَٰكُم﴾ وفي الأعراف ﴿خَطِيٓـَٔتِكُم﴾; وهو اختلاف في الصيغة الصرفية، ففي البقرة جمع تكسير وفي الأعراف جمع مؤنث سالم، ومعلوم أن هذه الصيغة من جمع التكسير هي جمع كثرة، وجمع المؤنث السالم جمع قلة، وجمع القلة يدل على الثلاثة فما فوقها إلى العشرة، وجمع الكثرة يدل على ما فوق العشرة إلى غير نهاية. [2]

قال ابن الزبير:" ورد جمعها في البقرة مكسرا ليناسب مابنيت عليه آيات البقرة من تعداد النعم، والآلاء ...لأن جموع التكسير ...إنما ترد في الغائب للكثرة ... وأما الجمع بالألف والتاء فبابه القلة في الغالب أيضا ". [3]

أما الموضع السابع: في البقرة: ﴿وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ وبحذف الواو في الأعراف.

قال ابن الزبير: " وأما زيادة واو العطف ﴿وَسَنَزِيد﴾، فإنما جيء بها هنا لأن المتقدم قبل هذه الآية من لدن قوله سبحانه: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ (البقرة40) إنما هي آلاء ونعم.... فناسب ذلك عطف قضية الزيادة بالواو ليجري ما تقدم من تعداد الآلاء وضروب الإنعام بالعفو عن الزلات والامتنان بضروب الإحسان ... وأما آية الأعراف فلم يرد قبلها ماورد في سورة البقرة". [4]

---

1 - العذب النمير، ج1، ص108 بتصرف.
2 - البحر المحيط، ج3، ص89.
3 - ملاك التأويل، ج1، ص207.
4 - ملاك التأويل ، ج1، ص208.

- المقطع السابع:

قال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلاً غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (البقرة59).

وقال تعالى: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلاً غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ (الأعراف162).

الموضع الأول في هذا المقطع: في الأعراف ﴿ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ وبحذف ﴿مِنۡهُم﴾ في البقرة.

لقد كان سياق البقرة في مخاطبة اليهود الذين في عصر النبي (ص) ، وكان مقصودا بذلك الخطاب دعوتهم للإيمان، وهذه الآية التي معنا تقص مقابلة بني إسرائيل لأنعام الله تعالى عند الفتح بالفعل والقول، وأن يعترفوا بذنوبهم ويستغفروا منها، والشكر على النعمة عندها والمبادرة إلى ذلك [1].

وأما الأعراف فكان سياقها يقص قصة القوم مفصلة بذكر إحسان محسنهم وإساءة مسيئهم، فكان ورود زيادة ﴿مِنۡهُم﴾ في الأعراف تبيينا لحال المحسنين وتسجيلا للعصيان والقساوة على العاصين كما هو معلوم من سياقها.

أما الموضع الثاني في هذا المقطع: في البقرة ﴿فَأَنزَلۡنَا﴾ وفي الأعراف ﴿فَأَرۡسَلۡنَا﴾.

أما لفظ الإنزال فقال فيه ابن فارس: " نزل: النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه ... والنازلة الشديدة من شدائد الدهر تنزل، والنزال في الحرب: أن يتنازل الفريقان".[2]

---

1 - تفسير ابن كثير، ج1، ص278.
2 - معجم مقاييس اللغة، ص 1022.

وأما لفظ الإرسال فقد قال فيه ابن فارس: " رسل: الراء والسين واللام أصل واحد فلفظ الإنزال فيه معنى الهبوط من العلو وفيه معنى الشدة، فهو المناسب لتذكير المخاطبين في سورة البقرة وهم اليهود المعاصرون للنبي (ص).

أما الأعراف فإنها تقص تاريخ القوم وما حصل لهم بالتفصيل، ولفظ الإرسال هو الذي يبين هذا، وذلك أنه يبين لنا أن العذاب قد تتابع عليهم وكثر بسبب ذنوبهم فالسورة معنية بتاريخهم ومن ذلك صفة العذاب الذي حل بهم.

الموضع الثالث: في البقرة ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وفي الأعراف ﴿عَلَيۡهِم﴾ لقد أظهر في البقرة في محل الإضمار حين قال: ﴿فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، ولم يقل (فأنزلنا عليهم) " ليسجل عليهم موجب هذا العذاب، وأنه الظلم، ولذا عدل عن الضمير إلى الظاهر... ليبين أن هذا الرجز منزل عليهم بسبب ظلمهم، والضمير لا يعطي هذا "[1]

وأما الأعراف فقد سبق أن في زيادة كلمة ﴿مِنۡهُم﴾ إفادة للتخصيص والتميز لأجل مابنيت عليه سورة الأعراف من تفصيل القصة ببيان حال المحسن والمسيء.

الموضع الرابع في هذا المقطع: في البقرة ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ وفي الأعراف ﴿بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾.

أما لفظ الفسق فقد قال فيه ابن فارس: " فسق: الفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفسق، وهي الخروج عن الطاعة، تقول العرب فسقت الرطبة عن قشرها: إذا خرجت" [2]

وأما لفظ الظلم فقد قال فيه ابن فارس: " ظلم: الظاء واللام والميم أصلان صحيحان: أحدهما خلاف الضياء والنور، والآخر وضع الشيء غير موضعه تعديا"[3]

ففي البقرة تحذير لهؤلاء المعاصرين للنبي (ص) من عمل أسلافهم، فالفسق وهو الخروج عن الطاعة، هو العمل الذي سبب لأسلافهم العقوبة، ولم يكن لفظ الظلم ليدل على ذات العمل دلالة لفظ الفسق.

---

1 - العذب النمير، ج1، ص113.
2 - معجم مقاييس اللغة، ص846.
3 - معجم مقاييس اللغة، ص641.

وأما الأعراف فالنظر في آياتها بالقصد الأول إلى العامل لا إلى العمل، فقد كانت معنية بذكر التفاصيل، والظلم المتحدث عنه هو ظلم النفس بتبديل ما أمر الله به، فلفظ الظلم أدل على ذات العامل بوصف حاله من دلالة لفظ الفسق.

- المقطع الثامن:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾ (البقرة 60).

وقال تعالى: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ (الأعراف160).

الموضع الأول في هذا المقطع: في البقرة ﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾ وفي الأعراف ﴿إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ﴾.

لقد ذكر في البقرة آخر الأمر استسقاء موسى لقومه، لأن المقام مقام آلاء ونعم فكان المناسب لذلك ذكر السبب المباشر لحصول النعمة، مع ما في ذلك من بيان عناية نبي بني إسرائيل بقومه وحرصه عليهم، وهذا معدود من النعم أيضا.

أما الأعراف فكان السياق فيها يسجل تاريخ اليهود، وما يتبعه من تفصيل حالهم، وتسجيل عصيانهم، ولهذا فقد ذكرت هذه الآية جملة أمور حصلت لبني إسرائيل، وبدأت ببيان تقطيعهم لاثنتي عشرة أسباطا، ثم طلبهم للسقيا، ولقد كان في طلبهم السقيا من موسى تفصيلا لحالهم بما يتبين به ضرورتهم، وقد قال بعض العلماء أن ذلك كان في التيه. [1]

الموضع الثاني في هذا المقطع: في البقرة: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾.

[1] - جامع البيان، ج2، ص6 بتصرف يسير.

لقد كان أمر الله لموسى في البقرة بلفظ القول هو المناسب لسياقها، وكانت الاستجابة سريعة لإستسقائه معقبا بالفاء التي تدل على التعقيب والمباشرة، وهذا ما يلائم سياق البقرة.

وأما الأعراف فقد جاء لفظ الوحي ليبين جلالة الأمر وقداسته، حيث كانت السقيا بأمر من الله سبحانه، ليتبين بعد ذلك أن عصيان بني إسرائيل وجحودهم إنما هو جحود لما يعرفون قداسته، وهذا من شدة العصيان كما هو سياق الأعراف.

الموضع الثالث في هذا المقطع: في البقرة ﴿فَٱنفَجَرَت﴾وفي الأعراف ﴿فَٱنۢبَجَسَت﴾.

قال الراغب الاصفهاني: " فجر: الفجر: شق الشيء شقا واسعا"[1]

وقال الراغب في الانبجاس: " بجس، يقال بجس الماء وانبجس: انفجر، لكن الانبجاس أكثر ما يقال فيما يخرج من شق ضيق، والانفجار يستعمل فيه وفيما يخرج من شيء واسع" .[2]

قال السيوطي: " في البقرة ﴿فَٱنفَجَرَت﴾، وفي الأعراف: ﴿فَٱنۢبَجَسَت﴾، لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فناسب سياق ذكر النعم للتعبير به ". [3]

وأما الأعراف فكانت تقص تاريخ القوم وتفاصيل أحوالهم التي هي تفاصيل عصيانهم، وكان ذكر الانبجاس وهو أمر ملحوظ من بدايته ليكون لهم من النعمة آية تلزمهم الحق... ودلالة تلزمهم اتباع نبيهم (عليه السلام) ، وبهذا فإن عصيان بني إسرائيل بعد معاينة الآيات، لهو أشد العصيان كما يدل عليه سياق الأعراف.[4]

الموضع الرابع من هذا المقطع: اختلاف تذييل الآيتين ففي البقرة: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ﴾، وأما آية الأعراف فختمها سبحانه: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

---

1 - مفردات ألفاظ القرآن، ص625.
2 - مفردات ألفاظ القرآن، ص107.
3 - الإتقان في علوم القرآن، ج2، ص998.
4 - العذب النمير، ج4، ص160.

قال ابن عاشور: " وقد جمع بين الأكل والشرب وإن كان الحديث عن السقي، لأنه قد تقدمه المن والسلوى، وقيل هناك: ﴿ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ فلما شفع ذلك بالماء اجتمع ".[1]

ثم إنه نهاهم عن الإفساد في الأرض، لأنهم: " لما أمروا بالأكل والشرب من رزق الله تعالى، ولم يقيد ذلك عليهم بزمان ولا مكان ولا مقدار، كان ذلك إنعاما وإحسانا إليهم، واستدعى ذلك التبسط في المأكل والمشرب، نهاهم عما يمكن أن ينشأ عن ذلك، وهو الفساد، حتى لا يقابلوا تلك النعم بالفساد" [2]

أما الأعراف فإنها قد عددت في الآية نعما كثيرة على بني إسرائيل، الأكل والشرب، وتظليل الغمام، ثم بينت خاتمة الآية حالهم حيالها وهو العصيان والكفران وهذا هو سياق الأعراف.

-المقطع التاسع:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ قَالَ أَتَسۡتَبۡدِلُونَ ٱلَّذِي هُوَ أَدۡنَىٰ بِٱلَّذِي هُوَ خَيۡرٌۚ ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة61).

وقال تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (آل عمران112).

[1] - التحرير والتنوير، ج1، ص519.
[2] - روح المعاني، ج1، 272.

الموضع الأول: في البقـــرة﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾وفي آل عمران قـــال: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُ﴾.

والذلة هي الذل والصغار، وقيل: القتل والأسر وسبي الذراري ...وقيـــل: فـــرض الجزية، والصحيح –والله أعلم– أنها كل ذلك، كما أن الجزية لاتؤخذ منهم إلا على وجـــه الصغار كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ (التوبة29).[1]

والمسكنة: " الفقر يقال تمسكن الرجل أي صار فقيرا وسمي الفقيـــر مـــسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة ". [2]

وقال ابن جرير:" والمسكنة في هذا الموضع مسكنة الفاقة والحاجة وهي خشوعها وذلها ". [3]

لقد كان سياق البقرة يخاطب بني إسرائيل المعاصرين للنبـــي (ص) ، ويـــدعوهم للإيمان، ويحذرهم من العصيان، ولهذا فقد جاء الترتيب في البقرة بذكر الأشد عنـــدهم لا الأشد في الأمر نفسه، والمسكنة كانت عندهم أقل خطرا من الذلة، وأما غـــضب الله فلـــم يكونوا يكترثون به كثيرا لهذا كان آخرا في الترتيب.

أما الاستثناء في آية آل عمران فحكم يعني المسلمين، لهذا لم يكن لمخاطبة اليهـــود منه فائدة، وهو استثناء لم يرفع الحكم المطلق.

وأما آل عمران فإنها تخاطب النبي (ص) والمؤمنين، وتبين حال هـــؤلاء اليهـــود للمؤمنين، ولهذا فقد بدأت آيتها ببيان ضرب الذلة عليهم، واستثنت منه حالة تضبط علاقة المؤمنين باليهود، والمعنى: أنهم أذلة ليس لهم من العزة إلا اعتصامهم بحبل مـــن الله، أي ذمة من الله، وهو إلزامهم عقد الذمة، أو حبل من الناس أي أمان منهم، و لكنه على هـــذا استثناء قاصر فإنه لم يزل عنهم كل معاني الذلة بل بعض أحكامها. [4]

---

[1] - جامع البيان، ابن جرير الطبري، ج2، ص26.
[2] - منـصور بـن محمـد الـسمعاني، تفـسير الـسمعاني، تـح، ياسـر إبـراهيم وغنـيم الغنـيم، دار الوطن،الريـاض، ط1، 1418هـ، ج1، ص87.
[3] - تفسير الطبري، ج2، ص27.
[4] - الكشاف، ج1، ص393 بتصرف يسير.

الموضع الثاني في هذا المقطع: في البقرة: ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾، وفي آل عمران: ﴿ٱلْأَنۢبِيَآءَ﴾ لقد كان جمع المذكر السالم هو المناسب لسياق البقرة، والغرض من مخاطبة اليهود بهذه الصيغة هو تذكيرهم بأولئك الأنبياء المقتولين بأعيانهم وفي ذلك تعظيم الشناعة على هؤلاء اليهود حتى ينتهوا عما كان عليه أسلافهم ويدخلوا في الإسلام.

أما آل عمران فقد كانت صيغة جمع التكسير تفيد الجنس الكثير، و هي حين تخاطب المؤمنين، فإنها تكشف أحوال اليهود ببيان عظيم جرمهم حين أكثروا القتل في الأنبياء. وبهذا يتبين وجه مناسبة كل لفظ لمقامه.

الموضع الثالث: في البقرة ﴿بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ وفي آل عمران ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ .

قال الزركشي: " في سورة البقرة جاء عن أنبياء معهودين، وهو قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾، فناسب أن يؤتى بالتعريف; لأن الحق الذي كان يستباح به قتل الأنفس عندهم كان معروفا، لقوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾(المائدة45)، فالحق هنا الذي تقتل به الأنفس معهود معروف". [1]

وبهذا يتبين أن مقابلة هؤلاء المعاصرين بما يعلمونه من أحوال أسلافهم، إقامة للحجة عليهم، ودعوة لهم إلى نبذ ملة أسلافهم واتباع دين خير المرسلين.

أما آية آل عمران كانت خطابا للنبي(ص) والمؤمنين، فقد جاءت آيتها بصيغة التنكير، وهو هنا للتعظيم، تعظيم مرتكب هؤلاء اليهود، وشناعة جرمهم، وهذا هو البيان المناسب للمخاطبين، ولايؤدي التعريف ما يؤديه التنكير، و الله أعلم .[2]

- المقطع العاشر:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ (البقرة 63).

[1] - البرهان في علوم القرآن، ج3، ص219.
[2] - ملاك التأويل، ج1، ص217 بتصرف يسير.

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (البقرة93).

وقال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ (النساء154).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾ (الأعراف 171).

الموضع الأول: افتتحت آيتا البقرة بأسلوب الخطاب، بينما كانت النساء والأعراف على الغيبة.

ويظهر هذا من خلال السياق; لأن آيتي البقرة في مخاطبة المعاصرين من بني إسرائيل للنبي (ص) ، وآية النساء في سياق يخاطب النبي(ص) ، وأما الأعراف فكانت تسجل تاريخ بني إسرائيل، وتبين معاصيهم لذا جاء على الغيبة. والله أعلم.

الموضع الثاني: في آيتي البقرة والنساء: ﴿رَفَعْنَا﴾، وفي الأعراف ﴿نَتَقْنَا﴾، الرفع معلوم معناه وظاهر أما النتق فقد قال ابن فارس: " نتق: النون والتاء والقاف أصل يدل على جذب شيء وزعزعته وقلعه من أصله ". [1]

الموضع الثالث: في آيتي البقرة وآية النساء : ﴿ٱلطُّورَ﴾ وفي الأعراف ﴿ٱلْجَبَلَ﴾.

قال ابن فارس: " الطاء والواو والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الامتداد في شيء من مكان أو زمان... والطور جبل، فيجوز أن يكون اسما علما موضوعا، ويجوز أن يكون بذلك لما فيه من امتداد طولا وعرضا" [2]

وقد اختلف العلماء في الطور هنا، هل هو الطور الذي كلم الله منه موسى عليه السلام، أو أن كل جبل يسمى طورا، أو هو ما أنبت من الجبال. [3]

---

1 - معجم مقاييس اللغة، ص 1010.
2 - معجم مقاييس اللغة، ص 627.
3 - جامع البيان، ج2، ص48.

الموضع الرابع في هذا المقطع: الزيادة التي في الأعراف: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾.

وهنا زاد الله سبحانه قيدين; الأول في وصف الجبل ﴿كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ﴾ والثاني في وصف حال القوم لما رفع فوقهم: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾.

لقد كانت لفظتا الرفع والطور هما المناسبتين لسياق البقرة، وذلك أن سياقها في مخاطبة المعاصرين للنبي (ص) من اليهود، والغرض من الخطاب هو دعوتهم للإيمان بذكر المنة على أسلافهم، ولم يكن هناك حاجة لذكر صفة ذلك الرفع من بدايته، وسياق النساء وهي سورة مدنية كذلك; فإنها في مخاطبة النبي (ص) في محاجته لأهل الكتاب في المدينة فالغرض واحد.

أما الأعراف فكانت تصف حال بني إسرائيل وصفا دقيقا، حين بينت أنهم قد شاهدوا الجبل وهو يتزعزع من أصله فينجذب وينقلع، ثم يرتفع فوق رؤوسهم حيث صار " الجبل فوقهم بقدرة الله كأنه ظلة، كأنه غمامة تظلهم فوق رؤوسهم". [1]وهم يحاذرون أن يقع عليهم، كل ذلك حتى يلتزموا بالتوارة ويأخذوا بها، وهذا من شدة عصيان بني إسرائيل ونفورهم الذي تقصه دائما سورة الأعراف.

الموضع الخامس: في البقرة: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة63)، وفي الآية الأخرى من البقرة: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة 93). وفي الأعراف: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

لقد كان سياق البقرة يعدد النعم على بني إسرائيل بما حصل من ذلك لأسلافهم، ويتلطف بهم علهم يؤمنون، ولقد سجلت الآية الأولى من البقرة نعمة إلزام الأسلاف

[1] - العذب النمير، ج4، ص 683.

بالتوارة، وذلك برفع الطور فوقهم، ولهذا فقد كان المقصود في هذا الموضع ذكر ما الغرض من ذلك الإلزام فقال سبحانه معقبا: ﴿وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾.

ولقد كان سياق الأعراف مشاركا للبقرة في هذا التعقيب، لأنه كان مشاركا لها في عد النعم لكن من باب تسجيل التاريخ، وبيان عاقبة القوم في كل مرة ينعم الله عليهم.

وأما الآية الثانية من البقرة; فإنها جاءت بعد أن بدأ السياق بمواجهة هؤلاء اليهود المعاصرين للنبي (ص) بقبائحهم، وما يبطنونه من العصيان والخيانه وهذه المواجهة تبدأ من قوله تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾ (البقرة75).

ويستمر السياق على ذلك حتى يظهر لهم خبيئة نفوسهم في عصيانهم للقرآن وهم يعلمونه مصدقا لما معهم من الكتاب... وهذا خبر من الله جل ثناؤه أنهم من التكذيب بالتوارة على مثل الذي هم عليه من التكذيب بالإنجيل والفرقان .[1]

وقد بين الله أنهم لا إيمان لهم وأمر نبيه أن يقول لهم: " بئس الشيء يأمركم به إيمانكم: تصديقهم الذي زعموا أنهم به مصدقون من كتاب الله، إذ قيل لهم: آمنوا بما أنزل الله، فقالوا: نؤمن بما أنزل علينا ... وأخبر سبحانه أن تصديقهم بالتوارة إن كان يأمر بذلك فبئس الأمر تأمر به. وإنما ذلك نفي من الله تعالى ذكره عن التوارة أن تكون تأمر بشيء مما يكرهه الله من أفعالهم ". [2]

وبهذا انتهت سورة البقرة بنهاية هذا المقطع.

[1] - جامع البيان، ج2، ص 256 بتصرف يسير.
[2] - جامع البيان، ج2، ص266.

سورة آل عمران

وهي سورة مدنية بالاتفاق، ولقد نزل أول السورة كما قال المفسرون بسبب وفد نصارى نجران، وقد وفدوا بعد فتح مكة.[1]

قال ابن كثير: " وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أن صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران، وقال الزهري: هم أول من بذل الجزية. ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح، فيما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هرقل في جملة الكتاب، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق الزهري ".[2]

وقد تقدمت دراسة هذه السورة الكريمة مع آيات سورة البقرة، وكانت آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ (آل عمران 112).

وقد درست مع آية البقرة: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُواْ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (البقرة61). وكان للسياق دوره في كشف المعنى وإبرازه.

[1] - جامع البيان، ج5، ص174.
[2] - تفسير ابن كثير، ج2، ص56.

سورة النساء

وهي مدنية بالاتفاق، وقد اشتملت السورة على أحكام كثيرة " فمعظم ما فيها شرائع تفصيلية في معظم نواحي حياة المسلمين الاجتماعية: من نظم الأموال، والمعاشرة والحكم، وغير ذلك ". [1]

وقد ذكر الله فيها أحوال اليهود، ومن الجدال معهم الشيء الكثير، وذلك لكثرتهم بالمدينة، ولزوم معرفة أحكام التعامل معهم.[2]

وأما الآيات التي شملتها الدراسة في القصة فقد وردت في سياق المجادلة، وهو سياق جدال اليهود للنبي (ص) ، وتعنتهم في تصديقه، وقد أتت أول آية في ذلك السياق عنوانا فقد قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾﴾ (النساء153) ولهذا فقد جاء جدال القرآن لليهود في هذه الآيات، مبينا للنبي (ص) ما هم عليه من كثرة العصيان والشقاق.

وقد سبق إيراد آيات هذه السورة مع سورة البقرة وقد أبان السياق حينها عن ذلك الجدال والشقاق والتعنت الذي يميز بني إسرائيل.

والآيات هي (النساء153) وقد وردت مع (البقرة 55) .

والموضع الثاني في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ ٱلطُّورَ بِمِيثَٰقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا۟ فِى ٱلسَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾﴾ (النساء154).

وقد التقى مع آيتي البقرة (63-93) وآية الأعراف (171).

و بهذا تتم الدراسة التطبيقية بشقيها والتي هي لب هذا البحث وثمرته، مع صعوبة ما فيها من التعامل مع أمهات كتب التفسير لكنها صعوبة لا تخلو من لذة، لأن هذا البحث

---

[1] - التحرير والتنوير، ج4، 212.
[2] - التحرير والتنوير، ج4، ص214.

يتعامل مع خير ما يبذل فيه الوقت، والجهد، والمال، وهو كتاب الله العزيز، حيث تناول الشق الأول الفترة الفرعونية، أومرحلة ما قبل الخروج وما فيها من شبه بفترة ما قبل هجرة النبي محمد (ص)، حيث التركيز على البناء العقدي والتوحيد، أما الشق الثاني من الدراسة فتناول الفترة الإسرائيلية أو فترة ما بعد الخروج، وهي فترة تشبه مرحلة تأسيس مجتمع المدينة على عهد الرسول (ص) وما صحبها من تشريع للعبادات، والأخلاق، والمعاملات، وفي ذلك تذكير لليهود المعاصرين للنبي (ص) بالنعم والآلاء التي حباهم بها الله تعالى، وهم مع ذلك دائبون على الغدر، والمكر، والخداع.

فكان لهذا الاختلاف بين الفترتين أثر في تباين السياقات، والتي من خلالها يلاحظ التغاير في الألفاظ، والخطاب الخاص بكل مرحلة.

الخاتمة:

لقد أدرك علماء اللغة المسلمين القدامى مفهوم السياق بِمعناه الاصطلاحي، وقدَّموا أفكاراً وممارسات سياقية متميزة، أكدها البحث اللغوي وأثبت جدواها في التحليل اللغوي، ومصطلح السياق من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة يشمل السياق اللغوي والحالي وكلّ ما يحيط باللفظ أوالنص من ملابسات لفظية وغير لفظية، ويقابل هذا المفهوم مصطلحات مختلفة عند علماء المسلمين إذ استعملوا مصطلح السياق ودلالة السياق والدلالة السياقية وسياق الكلام وقرينة السياق، وأرادوا بذلك السياق اللغوي. واستعملوا مصطلح المقام والحال ومقتضى الحال والقرائن(غير اللفظية)، وأرادوا بها سياق الحال، أي: حال المتكلم والمخاطَب وموضوع الخطاب ومكان حدوثه وزمانه والمناسبة التي قيل فيها، وانطلاقا من هذه الأرضية توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أجملها في ما يأتي:

1- تلتقي آراء علماء اللغة المعاصرين مع آراء علماء المسلمين القدامى في ضرورة الاستناد إلى الدلالات السياقية لتحديد المعنى، وفهم دلالات الألفاظ والتراكيب والنصوص، وهذا يدل على صلاحية نظرية السياق وفاعليتها في تحليل النصوص وتفسيرها.

2- للسياق أهمية كبرى في تعليل اختيار الألفاظ والصيغ، فلكل لفظ أوصيغة في القرآن الكريم دلالة خاصة يقتضيها السياق.

ومن خلال دراسة قصة سيدنا موسى –عليه السلام– و تحليلها ثبت:

3- أن اللفظ لا يدل في السياق إلا على معنى واحد، فالألفاظ قد تدل على أكثر من معنى خارج السياق، لكنها لا تدل في السياق إلا على المعنى الذي يريده المتكلم ويفهمه المخاطَب بمعونة القرائن السياقية.

4- أن التقديم والتأخير في القصص القرآني يأتي لأغراض سياقية تتعلق بترتيب المعاني في نفس المتكلم وبغرضه من الخطاب، فضلا عن مراعاة مقتضى حال المخاطَب، وملابسات الخطاب.

5- أن السياق هو الذي يقتضي الحذف ويدل عليه، فلكل حذف في القصص القرآني دلالات بلاغية مختلفة. ويتميز القصص القرآني بكثرة الحذف ولاسيما حذف أكثر من جملة، لكن روعة الإعجاز القرآني تجعل المتلقي يصل إلى المحذوفات دون أن يشعر بأي غموض أو لبس، لأن القرائن السياقية تعمل على ملء الفجوات التي يتركها الحذف.

6- أن دراسة القصص القرآني في ضوء السياق تكشف أن كل حلقة من حلقات كل قصة ذُكرت في مكانها المناسب، وأن معنى السورة ومقصودها لا يتحقق إلا بذكر تلك الحلقة، فضلا عن مناسبة أسلوب العرض لسياق السورة؛ ومن ثَم يعدّ التكرار من أهم أسباب التماسك النصي، فإذا ذكرت حلقة من قصة في سورة ما فإنّها تحيل على الحلقات الأخرى في السور الأخرى، فقد تذكر القصة مولد النبي أو تكليفه بالرسالة – مثلا- في سورة معينة فيثير هذا في ذهن المتلقي أحداث القصة في السور الأخرى.

7- أن تماسك النص القرآني ويكشف عن علاقاته الداخلية ووجوه تناسبه وترابطه، لأن ترتيب آياتِ القرآن وسوره توقيفي، والسياق الحالي يصور العلاقات بين النص وما يحيط به من ظروف وملابسات، فقد أنزل القرآن منجما على وفق الأحداث ومقتضيات الأحوال، ومتطلبات الدعوة.

08- أن الدلالات السياقية تكشف عن خاصية من أهم خصائص الإعجاز القرآني، وهي ذلك التناسق العجيب بين الترتيب الزمني على وفق ترتيب النزول، وبين ترتيب المصحف، وهذا التناسق يقودنا إلى القول: إن كل قصة قرآنية – وإن توزعت في سور كثيرة – يربطها خيط دقيق من التماسك والانسجام، بحيث يشكل كتلة واحدة متكاملة.

09- أن فهم قصد الشارع في القرآن الكريم عامّة وفي القصص القرآني خاصّة، لا يحصل على الوجه الأمثل إلا بمراعاة حال المخاطِب، والمخاطَب، وموضوع الخطاب، وغرضه، ومكان النزول وزمانه، وأسبابه، وكل ما يحيط بالنص من ظروف وملابسات.

10- أشار البحث إلى أهمية الإفادة من الدراسة النصية في تحليل القصص القرآني وتفسيره، وقد توصّل البحث إلى أن التماسك النصي يعد من أهم مميزات القصص القرآني، ويفسِّر كثيرا من الأسئلة التي أثيرت عن التكرار والترابط والتناسب، إذ تشير نتائج التحليل النصي إلى أن السياق القرآني يعمل على تماسك النص من خلال التكرار

والتناسب بين الآيات ومرجعية الضمائر، ولذلك تترابط الجمل في القصة الواحدة وتسهم في سرد أحداثها ومشاهدها، وكل قصة يربطها مع غيرها من القصص روابط مختلفة، فضلا عن ترابط القصص القرآني وغيره من موضوعات القرآن على مستوى السورة الواحدة، والنص القرآني كله.

وفي الأخير أحمد الله تعالى على أن أعانني على إكمال بحثي، فإن وفقت فذاك ما أرجوه، وإن قصرت فحسبي أنني بذلت قصارى جهدي، وعزائي أنني على الخطوات الأولى للبحث، وأسأل الله التوفيق.

فهرس المصادر و المراجع

القرآن الكريم، برواية حفص .

1- أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، دار الفكر،بيروت، د ط ت .

2- الأصبهاني، محمد بن عبد الله (الخطيب الإسكافي) ، درة التنزيل وغرة التأويل، تح، محمد مصطفى آبدين، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1422هـ .

3- الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار إحياء التراث، بيروت، د ط ت.

4- الأنباري، الأضداد، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، 1960م .

5- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي،القاهرة، ط2، 141 هـ.

6- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1994.

7- التهامي نفرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع تونس،ط1974م.

8- ابن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن بن قاسم، دارعالم الكتب،الرياض، طبعة 1412هـ .

9- الجاحظ ، البيان والتبيين، تح، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، دت.

10- الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، ط2،1401هـ .

11- ابن جزي،أحمد بن أحمد، التسهيل لعلوم التنزيل، دار أم القرى،مكة المكرمة، د ط ت.

12- ابن جني، أبو الفتح عثمان، الخصائص، تح ، محمد بن علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط3، 1407هـ.

13- جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر، عباس صادق الوهاب، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، ط1978م.

14- الجوهري، الصحاح، تح، شهـــاب الدين أبو عمر،دار الفكر، بيروت، ط1، 1418هـــ.
15- ابن حزم الأندلسي، الإحكام في أصول الأحكام ، قدم له إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط1، 1400 هـــ.
16- الحطيئة، ديوان الحطيئة، المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، د ط ت .
17- أبوحيان الأندلسي، البحر المحيط، تح، عادل عبد الموجود، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1413هـــ.
18- ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والنجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، دار العودة بيروت،ط1981 م.
19- الدمشقي، عمر بن علي بن عادل، اللباب في علوم الكتاب، تح، عادل أحمد عبد الموجود، دارالكتب العلمية،بيروت، ط1، 1419هـــ .
20- ردة الله بن ردة الطلحي، دلالة السياق، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط1، 1424هـــ.
21- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة القاهرة، 1383 هـــ .
22- الرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح، محمد خلف الله أحمد، دار المعارف، بيروت، ط4، دت.
23- روبرت ديبوجراند، النص والخطاب والإجراء ، تر، تمام حسان، القاهرة، ط1، 1418.
24- الزبيدي، تاج العروس، دار الفكر للطباعة والنشر،بيروت، ط1، دت.
25- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل، بيروت، 1408 هـــ .
26- الزمخشري:
أ- أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط 1404هـــ .
ب - الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تصحيح،

محمد عبد السلام شاهـــين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـــ .

27- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، تر، كمال بشر، مكتبة الشباب القاهرة ، د ت .

28- ابن السراج، الأصول في النحو، تح، عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1405،1 هـــ.

29- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تح، عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة،بيروت، ط6، 1417هـــ .

30- سليمان عشراتي، الخطاب القرآني(مقاربة توصيفيه لجمالية السر الإعجازي)، ديوان المطوعات الجامعية الجزائر،1998م.

31- السمرقندي، تفسير السمر قندي، تح، محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د ط ت.

32- السمعاني، تفسير السمعاني، تح، ياسر إبراهيم وغنيم الغنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1418هـــ.

33- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن، نتائج الفكر، تح، محمد إبراهيم البنا، دار الرياض، دط ت.

34- سيبويه، الكتاب، تح، عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، ط2، 1979م.

35- السيوطي، جلال الدين:

أ- الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

ب – التحبير في علم التفسير، تح، فتحي عبد القادر فريد، دار العلوم الرياض، ط1، 1402 هـــ .

36- الشافعي، الرسالة، تح، أحمد محمد شاكر، دار التراث، القاهرة، ط2، 1399 هـــ .

37- الشنقيطي، محمد الأمين:

أ – أضواء البيان، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط1413هـــ .

ب – دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ط1،مكتبة ابن تيمية، القاهرة،ط 1417هـــ .

ج – العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، دار ابن القيم،الرياض، ط1، 1424هـ .

38- شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار الفكر،بيروت، ط1، دت.

39- طاهر سليمان حمودة، دراسة المعني عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، د ت .

40- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل أي القرأن، تح، عبد الله التركي، دار هجر،القاهرة، ط1، 1422هـ .

41- الطيبي، التبيان في علم المعاني والبديع والبيان، تح، هادي عطية الهلالي، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ط1، 1407 هـ .

42- عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب تونس، ط2، 1982م.

43- عبد الوهـاب أبو صفية الحارثي، دلالة السياق منهـج مأمون لتفسير القرآن الكريم، دار عمار للنشر و التوزيع الأردن، ط1، 1409 هـ .

44- العثيمين، محمد الصالح:

أ – تفسير القرآن الكريم، ط1، دار ابن الجوزي، الدمام، ط 1423هـ.

ب – شرح العقيدة الواسطية، دار ابن الجوزي، الدمام، ط2، 1415هـ.

45- ابن عصفور، شرح جمل الزجاجي، تح، صاحب أبو جناح، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بغداد،1400 هـ .

46- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تح، عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية،بيروت، ط1، 1413هـ .

47- العكبري، أبو البقاء بن الحسين، اللباب في علل البناء و الإعراب، تح، غازي مختار، دار الفكر المعاصر،بيروت، ط1، 1419 هـ .

48- عماد عبد يحي، البني والدلالات في لغة القصص القرآني، دار دجلة الأردن، ط1، 2009م.

49- العمادي، أبو السعود محمد بن محمد، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث،بيروت، ط4، 1414هـ .

50- الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي في آي التنزيل ، تح، سعيد الفلاح ، دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط1، 1403هـ .

51- الغزالي، المستصفى في علم الأصول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1403 هـ.

52- ابن فارس،أحمد، مقاييس اللغة، تح، عبد السلام هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط2، 1392هـ .

53- فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار،عمان الأردن، ط2، 1422هـ .

54- فتحي أحمد عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، منشأة المعارف الإسكندرية،ط1976م.

55- الفخر الرازي:

أ- التفسير الكبير، دار الكتب العالمية طهران، ط2، دت.

ب- المحصول في علم الأصول، تح، طه جابر فياض، الرياض، ط1339،1 هـ.

56- فندريس، اللغة، تر،عبد الحميد الدواخلي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د ط ت.

57- الفيروز آبادي، القاموس المحيط ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415 هـ .

58- القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1415هـ .

59- القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ.

60- القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مكتبة محمد على صبيح، القاهرة، 1390هـ .

61- ابن قيم الجوزية:

أ - إعلام الموقعين عن رب العالمين، تح، عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ط ت.

ب - الأمثال في القرآن، تح، إبراهيم محمد، مكتبة الصحابة،طنطا،ط1، 1406 هـ.

ج - بدائع الفوائد، تح ، علي العمران، دار عالم الفوائد،مكة المكرمة، ط1425هـ.

62- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1388 هـ .

63- الكلوذاني الحنبلي، التمهيد في أصول الفقه، تح، مفيد أبو عميشة، جامعة أم القرى مكة المكرمة، ط 1، 1406هـ.

64- محمد أبو موسى:

أ – الإعجاز البلاغي – دراسة تحليلية لتراث أهل العلم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1418هـ.

ب – البلاغة القرآ نية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة،ط2، 1408 هـ .

65- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع،تونس، ط1997م.

66- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1 ، 1409 هـ .

67- محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن. قواعده – أساليبه – معطياته، الدار الإسلامية،بيروت، ط1، دت.

68- محمد خطابي، لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب) ، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، ط،1991.

69- محمد عابد الجابري، مدخل إلى القرآن الكريم (الجزء الأول في التعريف بالقرآن) ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2006 م .

70- محمد عزة دروزة، القرآن والملحدون، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط2، 1980م.

71- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى،دار المدار الإسلامي، بيروت،لبنان، ط2، 2007 م.

72- محمود السيد حسن مصطفى، الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية، الإسكندرية، ط1981.

73- المقدسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، إبراز المعاني من حرز المعاني في القراءات السبع، تح، إبراهيم عطوة، مكتبة المصطفى الإلكترونية، د ط ت.

74- مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط7، 1400 هـ.

75- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط ت) .
76- ابن النجار الحنبلي، شرح الكوكب المنير، تح، محمد الزحيلي ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي مكة المكرمة، 1400هـ .
77- النحاس، أبو جعفر بن محمد:
أ - إعراب القرآن، تح، زهـير غازي، عالم الكتب،الرياض، ط3، 1409 هـ .
ب - معاني القرآن، تح، محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ .
78- يوسف العيساوي، أثر العربية في استنباط الأحكام الفقهـية من السنة النبوية، دار البشائر الإسلامية،بيروت، ط1423،1 هـ .
79- يوسف نور عوض، علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1 ،1410 هـ .

فهرس الموضوعات

مقدمة .....أ-ج
الفصل الأول: السياق والقصص القرآني 5-42
المبحث الأول:السياق لغة واصطلاحا 5-7
السياق لغة.....5
السياق اصطلاحا.....6-7
المبحث الثاني:أركان السياق 8-13
الركن الأول: الخطاب 8
الركن الثاني: مصدر الخطاب 8-9
الركن الثالث: متلقي الخطاب 9
الركن الرابع: المساق 10
الركن الخامس: ألفاظ الخطاب ودلالات تراكيبه 11
المبحث الثالث: دلالة السياق وأنواعه.....13-17
دلالة السياق.....13.
أنواع السياق 14
المبحث الرابع: تأصيل النظرية السياقية في التراث العربي.....18-31
السياق عند اللغويين 18
السياق عند البلاغيين 21
السياق عند المفسرين..... 24
السياق عند الأصوليين 28
المبحث الخامس: حول القصص القرآني .....32.
القصص لغة 32
القصص اصطلاحا.....33
ما الذي يعنيه القصص القرآني للمسلمين ؟ .....34.

أنواع البنى القصصية في القرآن الكريم 37-39
الشكل الأول: القصة المغلقة ..... 37.
الشكل الثاني: القصة المفتوحة 37
دلالة الألفاظ في القصص القرآني 39-42
الدلالة السياقية 39
الدلالة الاقترانية 40
الدلالة الإيحائية 41
الفصل الثاني: الفترة المصرية 44-88
سورة الأعراف 44-65
سورة إبراهيم 65
سورة طه 66-81
سورة الشعراء 81-84
سورة النمل 85-86
سورة القصص 87
سورة الزخرف 87
سورة الدخان 87-88
الفصل الثالث: الفترة الإسرائيلية 90-118
سورة البقرة 91-115
سورة آل عمران 116
سورة النساء 117-118
الخاتمة 119-121
فهرس المصادر والمراجع 122-128
فهرس الموضوعات 129-131

الملخص:

يتناول البحث بالدراسة الدلالات السياقية للقصص القرآني، متخذا من قصة النبي موسى (عليه السلام) أنموذجا، من خلال تحليل الدلالات حسب سياقات القصة الواردة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، مع بيان التخريجات المناسبة لكل لفظ حسب الموضع الذي ورد فيه .

فمعاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي وردت فيها حتى ما كان منها غير لغوي.

وهذا هو الهدف الأساس الذي سعى البحث لتحقيقه.

Summary :

This work is devoted to study the contextual meanings of tales therein the Holy Quran , holding the story of Moise (peace be on him) as an example.

It has been fulfilled throught the analysis of meanings according to the context of the story in different locations in the Holy Quran, with providing the appropriate meaning of each word according to the context of situation. Meanings of words demand an analysis of the contexts and situations they are cited in, even extra linguistic ones.

This is the objective that this aims to fulfil.

الملخص:

يتناول البحث بالدراسة الدلالات السياقية للقصص القرآني، متخذا من قصة النبي موسى (عليه السلام) أنموذجا، من خلال تحليل الدلالات حسب سياقات القصة الواردة في مواضع مختلفة من القرآن الكريم، مع بيان التخريجات المناسبة لكل لفظ حسب الموضع الذي ورد فيه.

فمعاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي وردت فيها حتى ما كان منها غير لغوي.

وهذا هو الهدف الأساس الذي سعى البحث لتحقيقه.

Summary:

This work is devoted to study the contextual meanings of tales therein the Holy Quran, holding the story of Moise (peace be on him) as an example.

It has been fulfilled throught the analysis of meanings according to the context of the story in different locations in the Holy Quran, with providing the appropriate meaning of each word according to the context of situation. Meanings of words demand an analysis of the contexts and situations they are cited in, even extralinguistic ones.

This is the objective that this aims to fulfil.